الصّراط

الرقم الـ ١٤٤ ربيع الأوّل ١٤٤٨

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وعجل فرجهم

عالم الروحانيات

الأسس الفكرية والثقافية للماسونية

الافراط والتفريط في الغيبة

قال جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام:
«عن سلمان قال: دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله يوما، فلمّا نظر إليّ قال: «... يا سلمان خلقني الله من صفوة نوره...»

«الزام الناصب فی اثبات الحجه الغائب»، علي اليزدي الحائري، ج ٢، ص ٢٧٥.

«شهرية صراط الإلكترونية»
إيران – طهران
ص. ب: ١٤١٥٥-٨٣٤٧
فاكس: +٩٨٢١٦٦٤٥٩٠٢٣

البريد الإلكتروني:
email: mouoodasr@gmail.com
المواقع:
www.mouood.org
https://www. facebook.com/mouood.org

الفهـرس

منوعـــات

عوالم الإنسان ومنازله: عالم الروحانيات / ٤
الشعر والأدب: بانت سعاد / ٦
وظيفة الدين في الحياة: خصائص العقيدة الدينية / ٨
معجزات القرآن: فِرْعَونُ مُوسَى / ١١

الدراسات الثقافية

الفكر، الثقافة و الأدب، الحضارة: منزلة الإنسان، منزلة التساؤل / ١٢
الاستعمار في مرآة التاريخ (الجذور، الآليات، الآثار) - باب الاول - الحاضر والتاريخ: دور الابطال / ١٤
خفض أضرار الإعلام والفضاء الافتراضي داخل الأسرة: التحصين الأسري في عصر الفضاء الافتراضي / ١٦
فرسان الهيكل وأسس الماسونية - الأسس والمبادئ الفكرية والعقائدية للماسونية: الأسس الفكرية والثقافية للماسونية / ١٨
البيت والآسرة - مراحل التربية: نقاط مهمة / ٢٢

الدراسات المهدوية

دعوي السفارة - مفهوم الغيبة بين الافراط والتفريط: الافراط والتفريط في الغيبة / ٢٤
التعاليم المهدوية - أسس الانتظار ووظائفه: مصاديق حقوق إمام الزّمان عليه السلام / ٢٧
إلى اللامتناهي - الخريطة الإلهية العامة: تاريخ الأنبياء والأوصياء الإلهيين... / ٣٢
الامام المهدي عليه السلام و مستقبل العالم: لماذا الإمام المهدي عليه السلام لا يساعد المظلومين؟ / ٣٤
تكاليف الأنام في غيبة الإمام عليه السلام: إهداء قراءة القرآن إلى الامام عليه السلام / ٣٥

الحيـاة الإيمانيـة

المستبصرون: محمّد إسماعيل / ٣٦
الحقوق الاجتماعيه في الاسلام - الحقوق الاجتماعية ذات الصبغة الأخلاقية: حق المعلّم أو الاستاذ / ٣٨
على مائدة الكتاب والسنّة - الوحدة حول مائدة الكتاب و السنّة: ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام في موضوع العرش والكرسي / ٣٩
حلية المتّقين: استحباب التختم و آدابه / ٤١
الولد و الوالد: الأثر الخالد في الولد والوالد / ٤٢

الدراسات الشيعية

الحياة الفكرية و السياسية لائمّة اهل البيت عليهم السلام - اهل البيت عليهم السلام: الامام علي عليه السلام المعرفة والسيرة / ٤٤
المقام الغيبي في الامامة - الامامة في القرآن الكريم: شاهدٌ منه؛ الإمامة والعلم اللدني / ٤٨

لفظة «علم الروحانيات» قد تطلق على علوم عديدة، منها علم العرفان، ومنها علم الفلسفة، وعلوم المعارف، وربما تطلق على بعض العلوم التي قد تسمى بالعلوم الغريبة، مثل علم التسخير، وعلم الطلسمات، وعلم الجفر عموماً، والعلوم التي تبحث حول القضايا الأثيرية. فمنها علم محرم كالسحر وبعض أقسام التسخير، فهي لفظة أو اسم واصطلاح لعلوم عديدة، ولا تطلق على علم واحد.

بيان الصحيح والنافع من هذه العلوم

من هذه العلوم ما هو محرم، مثل علم السحر، وعلم العزائم، وبعض أقسام الطلسمات، وبعض أقسام علم النيرنجات والشعبذة. وهذه علوم يطلق عليها اسم الروحانيات، وقد ذكر الفقهاء قائمة بأسمائها المحرمة. ويطلق على علم الروحانيات في الواقع ما يرتبط بعالم ما وراء المادة مما تتدخل فيه الأمور الروحية، سواء روحيات الجن، أو روحيات الملائكة، أو روحيات الإنس، وهذه مصطلحات عامة لما وراء علم المادة. ومنها ما هو مكروه، مثل علم الرمل، أو راجح، مثل علم الجفر ومشابه ذلك. ومنه ما هو راجح بالإجمال وتعلمه لأجل كسب المعارف الشرعية، مثل الفلسفة الصحيحة، وعلم العرفان الصحيح المطابق للمعارف الدينية وشبه ذلك. وهذه أيضاً من علم الروحانيات، باعتبار فيها ذكر نظم وبرامج مرتبطة بعالم الروح وعالم ما وراء المادة.

هل للعلوم المحرمة آثار حقيقية أم أنها مجرد أوهام؟

هذه العلوم لا يمكن أن يقال أنها أوهام مجردة، بل إن الوهم والخيال نفسه له تأثيرات تكوينية. ويشير إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى عن السحر: «**يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ**»[1] وفي الحقيقة هي تسويلات الوهم وتخيلات الوهم، وبدورها لها تأثيرات على المتوهم وعلى طرف المتوهم، فبالتالي لها تأثيرات في النفوس، وإن لم تكن تأثيراتها في المادة، ففي المادة عبر النفوس. فأقل ما يمكن أن يقال فيها ذلك، ولكن لها تأثيرات ربما على إعاقة الأشخاص أيضاً عبر الوهم والتخيل والإرهاب والخوف والقلق والشؤم واليأس، وما هي من حالات السقوط وحالات الانزلاق والانحدار.

هذه كلها تشاهد في تلك العلوم وآثارها، وإن كان يراد منها حالات إيجابية، ولكن تظل هذه العلوم محرمة حتى في سياق الغايات الإيجابية، لأنه طريق محرم فلا يسوغ شرعاً.

الأقسام النافعة المأمونة من علوم الروحانيات

عموم علوم المعارف والعقائد، من معارف القرآن ومعارف الحديث الشريف، سواء بلغة عرفانية، أو بلغة فلسفية، أو لغة كلامية، أو بلغة أدبية، هذه كلها تصب في صقل آفاق الروح، سواء من الجانب العملي أو من جانب بعد الإدراك للعوالم والمعارف. ولا ريب أن هذه تستوسع الروح أفقاً وسعة وتصعد بها درجة، مضافاً إلى برنامج تهذيب السلوكيات وما شابه ذلك من البرنامج العملي، وهذا أيضاً يصقل الروح، والأخلاق كلها ترتبط بالروح. فبالحقيقة، التعرف على قضايا الروح أمر بالغ الثمرة وبالغ النتيجة.

وحتى العلوم الغريبة، أو ما يصطلح عليه بالعلوم الغريبة أي غير المتداولة وغير المأنوسة، فإن المقصود المحلل منها مثل علم الجفر بأقسامه، وعلم الرمل، وعلم الحروف، وعلم المعاني، وعلم الحساب والاشتقاقات المختلفة، هذه كلها تفيد الإنسان. فافرض الاطلاع على علم التخاطر الروحي والسمعي والبصري، وعلم الأثير، والوقوف عليها، لا ريب أنه يوجب اطلاع السعة للإنسان، وأقل ما فيها أن توقي الإنسان من الانغرار والانزلاق أمام أهل الحيل والنصب والدجل في القضايا الروحية. فالاطلاع عليها يكوّن لدى الإنسان بصيرة مميزة فاصلة بين ما هو كرامة حق وبين ما هو دجل وحيل ونصب.

ونحن نشاهد القرآن الكريم يسطر لنا بعض الأمثلة، أن عفريتاً من الجن يستطيع أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين – ملك النبي **سليمان**عليه السلام – في ظرف زماني بمدة يستغرق الجلوس في مجلس، حسب ما هو مضمون الآية: «**قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ**»[2] فمثل هذه الأمور يمكن أن يأتي بها قوى غير خيرة، فاطلاع الإنسان عموماً على مثل هذه الأمور يزيده بصيرة ويزيده تمييزاً بين ما هو صحيح وصدق وما هو خطأ وكذب، وما هو الخير وما هو الشر.

الهوامش:

١. سورة البقرة، الآية ١٠٢.

٢. سورة النمل، الآية ٣٩.

المصدر: السند، الشيخ محمّد، «عوالم الإنسان و منازله، العقل العملي و قضاياه»، بيروت، دار الاميرة، الطّبعة الأولى، ٢٠١٠م.، مع تصرف يسير.

يُعَدُّ **كعب بن زهير** من كبار شعراء العصر الجاهلي والإسلامي، وابن الشاعر الشهير **زهير بن أبي سلمى**، أحد فحول الشعراء العرب وأصحاب المعلقات. أسلم كعب بعد أن هجا النبيّ ﷺ ثم تاب وأنشأ قصيدته المشهورة «بانت سعاد» التي اعتذر فيها إلى الرسول ﷺ، فقبل النبيّ ﷺ عذره وأعطاه بردَه (عباءته) مكافأة له على هذه القصيدة. تتميَّز هذه القصيدة بقوّة التصوير، وعذوبة الأسلوب، وجمال الوصف، حيث يمزج الشاعر بين الاعتراف بالذنب، والتوسّل بالعفو، ومدح النبيّ ﷺ بأرقى العبارات، مما جعلها من أشهر القصائد النبوية في الأدب العربي. وقد دوّنها المؤرخون وأصحاب السير في مآثر النبيّ ﷺ، ولا تزال تُقرأ وتُدرّس في المناهج الأدبية حتى اليوم.

في هذا اليوم أيضا أشرقت شمس الإمام الصّادق عليه السلام الّذي فتح بعلمه أبواب الفقه والحديث.

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيّم إثرها لم يجز مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا
إلّا أغنّ غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة
لا يشتكى قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت
كأنّه منهل بالراح معلول
شجّت بذي شبم من ماء محنية
صاف بأبطح أضحى وهو مشمول
تجلو الرياح القذى عنه وأفرطه
من صوب سارية بيض يعاليل
يا ويحها خلّة لو أنّها صدقت
ما وعدت أو لو أنّ النصح مقبول
لكنّها خلّة قد سيط من دمها
فجع وولع وإخلاف وتبديل
فما تدوم على حال تكون بها
كما تلوّن في أثوابها الغول
وما تمسّك بالوصل الّذي زعمت
إلّا كما تمسك الماء الغرابيل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
وما مواعيدها إلّا الأباطيل
أرجو وآمل أن يعجلن في أبد
وما لهنّ طوال الدهر تعجيل
فلا يغرّنك ما منّت وما وعدت
إنّ الأماني والأحلام تضليل
أمست سعاد بأرض لا يبلّغها
إلّا العتاق النجيبات المراسيل
ولن يبلّغها إلّا عذافرة
فيها على الأين إرقال وتبغيل
من كلّ نضّاخة الذفرى إذا عرقت
عرضتها طامس الأعلام مجهول
ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق
إذا توقدت الحزّان والميل
ضخم مقلّدها فعم مقيّدها
في خلقها عن بنات الفحل تفضيل
حرف أخوها أبوها من مهجّنة
وعمّها خالها قوداء شملیل
يمشي القراد عليها ثمّ يزلقه
منها لبان وأقراب زهاليل
عيرانة قذفت في اللحم عن عرض
مرفقها عن بنات الزور مفتول
كأنّ ما فات عينيها ومذبحها
من خطمها ومن اللحيين برطيل
تمرّ مثل عسيب النخل ذا خصل
في غارز لم تخوّنه الأحاليل
قنواء في حرّتيها للبصير بها
عتق مبين وفي الخدّين تسهيل
تخدي على يسرات وهي لاحقة
ذوابل وقعهنّ الأرض تحليل
سمر العجايات يتركن الحصى زيما
لم يقهنّ رؤوس الأكم تنعيل
يوما يظلّ به الحرباء مصطخما
كأنّ ضاحيه بالنار مملول
كأنّ أوب ذراعيها وقد عرقت
وقد تلفّع بالقور العساقيل
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت
ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا
شدّ النهار ذراعا عيطل نصف
قامت فجاوبها نكد مثاكيل
نوّاحة رخوة الضبعين ليس لها
لما نعى بكرها الناعون معقول
تفري اللبان بكفّيها ومدرعها
مشقّق عن تراقيها رعابيل
يسعى الوشاة بجنبيها وقولهم
إنّك يا بن أبي سلمى لمقتول
وقال كلّ خليل كنت آمله
لا ألفينّك إنّي عنك مشغول
فقلت خلّوا طريقي لا أبا لكم
فكلّ ما قدّر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمول
أنبئت أنّ رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الّذي أعطاك نافلة ال
قرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنّي بأقوال الوشاة ولم
أذنب ولو كثرت عنّي الأقاويل
لقد أقوم مقاما لو يقوم به
أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
لظلّ يرعد إلّا أن يكون له
من الرسول بإذن الله تنويل
مازلت أقتطع البيداء مدّرعا
جنح الظلام وثوب الليل مسبول
حتّى وضعت يميني لا أنازعه
في كفّ ذي نقمات قيله القيل
لذاك أهيب عندي إذ أكلّمه
وقيل إنّك مسبور ومسؤول
من ضيغم من ضراء الأسد مخدرة
ببطن عثّر غيل دونه غيل
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما
لحم من القوم معفور خراذيل
إذا يساور قرنا لا يحلّ له
أن يترك القرن إلّا وهو مفلول
منه تظلّ حمير الوحش ضامرة
ولا تمشّي بواديه الأراجيل
ولا يزال بواديه أخو ثقة
مطرّح البزّ والدرسان مأكول
إنّ الرسول لسيف يستضاء به
مهنّد من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم
ببطن مكّة لما أسلموا زولوا
زالوا فمازال أنكاس ولا كشف
عند اللقاء ولا ميل معازيل
شمّ العرانين أبطال لبوسهم
من نسج داود في الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكّت لها حلق
كأنّها حلق القفعاء مجدول
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم
ضرب إذا عرّد السود التنابيل
لا يفرحون إذا نالت رماحهم
قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا
لا يقع الطعن إلّا في نحورهم
ما إن لهم عن حياض الموت تهليل

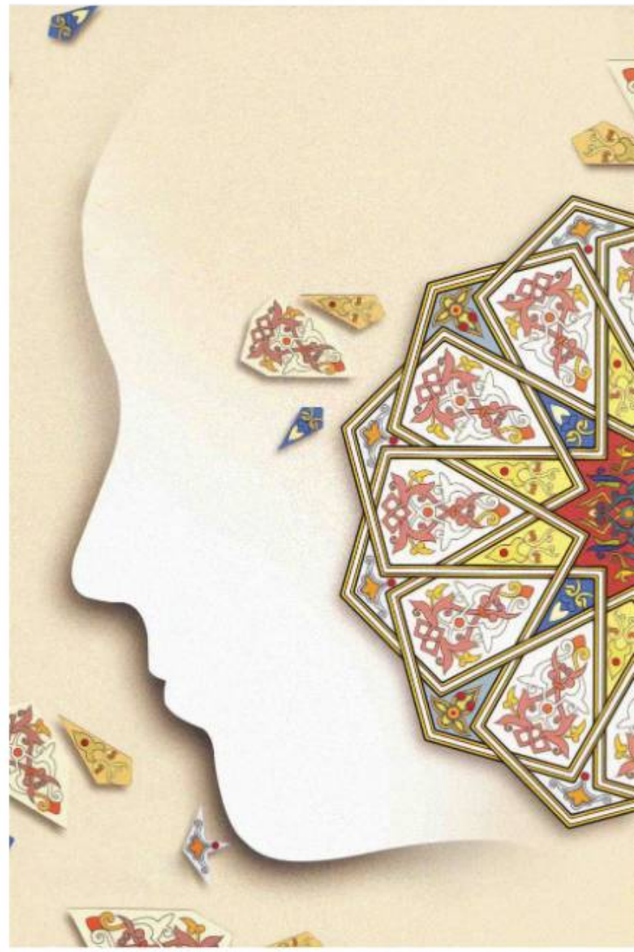

لاحظنا أن الدين علاقة بين طرفين يخضع أحدهما للآخر ويقدسه ويبجله ويطيعه ويعبده، ولكن مظاهر الخضوع و التقديس والتبجيل والعبادة لا تنحصر في الدين فقط، بل تتعداه إلى أمور كثيرة كالعادات والتقاليد ومبادىء الأخلاق والقيم الإنسانية والنواميس الكونية والغرائز والميول البشرية، فما هي الفوارق التي تساعدنا على التمييز بين الدين وغيره؟ مع الملاحظة المهمة التي يجب التنبيه عليها باستمرار، ويجب التذكير بها دوماً، وهي أننا قصدنا بالدين معناه العام الجامع الشامل الذي يغطي نظام الحياة عامة، وهذا يعني أنّ التشريع والأخلاق والعبادة... تصبح جزء من العقيدة، ويكون اتباع أحكام التشريع، والالتزام بالأخلاق والمواظبة على العبادة جزء من الدين، وتنطبق عليه الميزات و الخصائص الثابتة للعقيدة الدينية.

خصائص العقيدة الدينية

إن الميّزات التي تجعل من الخضوع ديناً أم لا، تنقسم باختصار إلى قسمين، وهما:

آ) صفات الشيء الذي يقدّسه المتديّن.

ب) طبيعة هذا الدين[1]

ويمكننا تفصيل ذلك بشرح الخصائص المهمة للعقيدة الدينية، وهي:

١. إن الإنسان يقدّس الشرف والعرض والحرية والكرامة، ويخضع لقوانين الكون، وسننه الثابتة، ولكن هذه الأمور لا تسمى دينا، لأنها معان عقلية مجردة وتصورات شائعة مبهمة، أما المتدين فإنه يهدف إلى تقديس حقيقة خارجة عن نطاق الأذهان، وإن كانت لا تعبر عنها الأذهان، أو لا تستطيع تصوّرها، فالتقديس الديني يتّجه إلى ذات مستقلة قائمة بنفسها، وتكون العقيدة الدينية صلة بين ذات وذات، لا بين ذات وفكرة مجرّدة.

٢. إن الذات التي يقدّسها المتديّن شيء غيبي لا يدركه بعقله و وجدانه، و بتعبير آخر إنّ العقيدة الدينية تختص بالإيمان بالغيب، ولذلك عبّر الوثنيون أنّ العبادة للأحجار و الأوثان و الأشجار... ليست لذاتها، وإنّما لأنّها ترمز لقوّة غيبيّة، أو أنّها ترمز لسر غامض يستحق التقديس، وقد نقل القرآن حكاية عنهم «... **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...**»[2] وهذه الميزة الغيبية هي التي دفعت بعض العلماء إلى وصف الدين بأنه إيمان بما وراء الطبيعة «ميتافيزيك» وكأنهم لم يعرفوا من الدين إلا هذه الناحية.

٣. إنّ الذات المقدّسة ذات قوة فعالة مؤثرة في غيرها، كما أنّها ذات قوّة عاقلة[3] تدرك أهدافها، وتتّجه بالفعل إلى تحقيق أغراضها بمحض إرادتها ومشيئتها، بخلاف نواميس الكون فإنها منفعلة، وأن الطبيعة بمعنى مطبوعة وهي اسم مفعول تحتاج إلى فاعل، وبخلاف بعض المواد التي تؤثر في غيرها، فإن تأثيرها عفوي دون شعور منها، ولا اختيار لها في صدوره كالمغناطيس والجاذبية.

إن هذه القوة العاقلة المديرة لها اتصال معنوي بنفس المتدين وبالناس جميعاً، وليست بعيدة عنهم أو منقطعة عن حياتهم، بل ترعى شؤونهم، وترعى آمالهم والامهم، وتسمع دعاءهم ونجواهم، وتكشف السوء عنهم متى شاءت ذلك، ولها عناية مستمرة بشؤون العالم الذي تدبره.

٤. إن هذه القوة المعبودة هي قوة علوية سبحانية قاهرة، يخضع لها المتدين، ويقف منها العابد موقف الأمل المتواضع يطلب منها الرضى، ويشفق من غضبها وسخطها، بخلاف الساحر والعالم الروحاني والعالم الطبيعي فإنّهم يسخرون المهتم التي يأنسون بها ويرجعون إليها، يسخرونها فيما يطلبونه، وينوون القيام به، وينظرون إليها نظرة مساواة معهم، أو نظرة استخفاف واستخدام لها، كما يسخر الكيميائي عناصر الطبيعة لمنافعه وأغراضه. يقول الدكتور **دراز**:

إن شئنا أن نضرب مثالاً حسياً لهذه الأهداف المختلفة قلنا: إنّ قبلة العالم المادي تحت قدمه، لأن القوى التي هو منها بسبيل قوى عمياء صماء، يحس بها و لاتحس به، وإذا دعاها لا تستجيب له، وقبلة العالم الروحي هي من وجه ما في مستوى أفقه، لأنها وإن كانت أقدر منه على التصرف، إلا أنها قوى حية عاقلة مثله، ولكنها من وجه آخر هي دونه، لأنها تحت يده، متصرفة بأمره، منقادة إلى تعاويذه وطلاسمه، فالكل ينكسون أبصارهم إلى الأرض، والمؤمن يرفع رأسه إلى السماء.[4]

٥. العنصر الذاتي النفسي: ويضاف إلى الخصائص السابقة في موضوع العقيدة الدينية عنصر ذاتي نفسي يتميز به المتدين عن غيره، وهو الخضوع الشعوري الاختياري للمعبود، فالمتدين يقدس ويمجد معبوده عن طواعية واختيار لأنه يستحق ذلك، ويقوم بالعبادة والتعظيم متى كان مقتنعاً بدون إكراه، ولذلك بين القرآن الكريم أن الصلاة كبيرة وشاقة وصعبة إلا على المتقين، قال تعالى: «**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**»[5] لأن الطاعة تخرج من القلب عن يقين وقناعة، وإذا وجد شيء من الإكراه غير المباشر كالتهديد بالعقاب فإنه يؤدي إلى مظهر من مظاهر التعظيم، وصورة من صوره المادية، ولكنه لا يتولّد عنه حقيقة التعظيم ولا صورته القلبية، وهذا يفسّر لنا الحكمة الإلهية بعدم الإكراه على الدين: «**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...**»[6]

وهذا الخضوع الشعوري الاختياري مفقود في خضوعنا لنواميس الطبيعة الشعوري وغير الشعوري، كالسقوط من أعلى حسب قانون الجاذبية، والبعد عن الشمس والكواكب ومقدار الضوء والحرارة والضغط الجوي الذي نرزح تحته وقانون الشيخوخة والهرم والموت الذي نخضع له أيضاً.

٦- وأخيراً فإنّ خضوع المتدين لمعبوده يشعره بالترفيه عن القلب، ويفتح أمامه الأفاق، وينزل عن ظهره الأثقال، ويجعله يتطلّع باستمرار إلى الأمل وتفريج الكروب دون يتسرب إلى نفسه اليأس أو يفرض عليه الكبت، أو يسد أمامه الأمل أو يحدّ من عمله، بل يكون المتدين دائماً بين الرغبة والرهبة، أو بين الأمل والحذر والرجاء. كما سنبيّنه في وظيفة الدين في حياة الأفراد.

هذه الصفات تمثل خصائص العقيدة الدينية، وتميزها عن غيرها من العقائد والمبادىء والأفكار، ولذلك يلخص الدكتور **دراز** مفهوم الدين الصحيح فيقول:

الدين هو الاعتقاد بوجود ذات – أو ذوات – غيبية علوية، لها شعور واختيار لها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد.

ويقول:

وبعبارة موجزة: هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة، هذا إذا نظرنا إلى الدين من حيث هو حالة نفسية بمعنى التدين، أما إذا نظرنا إليه من حيث هو حقيقة خارجة فنقول: هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها.[7]

وخلاصة هذا الفصل أننا نريد التمييز بين مفهوم الدين عند الغربيين، والمفهوم الشائع للدين الذي تسرب إلينا من الغرب، وبين المفهوم الصحيح للدين الذي بينه أسلافنا، وأن المقصود في بحثنا هو الدين الذي اختاره الله تعالى في القرآن الكريم ورضيه لنفسه وارتضاه للبشرية ورفض قبول غيره، قال تعالى: «... **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...**»،[8] «**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...**»،[9] «**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ...**»[10]

الهوامش:

١. راجع كتاب «الدين»، للمرحوم الدكتور عبد الله دراز، ص ٣٦ وما بعدها؛ «دراسات في النفس الإنسانية»، للأستاذ محمّد قطب، ص ٢١٤.
٢. سورة الزمر، الآية ٣.
٣. تنبيه مهم هذا التعبير، في حق الله تعالى، ونحوه مما تكرر في هذا الكتاب مثل: «عقل واع»، «قوة خالقة مبدعة»، «إرادة منظمة».. مما ورد في كتب الفلاسفة من تسمياتهم وإطلاقاتهم، أما المسلم فيلتزم بالأسماء والصفات الواردة حصراً في القرآن والسنة، ويقف فيها على المأثور، فالله سبحانه هو القوي المدبر، الخالق، المصور، وهو ذو القوة و الإرادة... ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها.
٤. «الدين»، ص ٤٤.
٥. سورة البقرة، الآيتان ٤٥-٤٦.
٦. المصدر السابق، الآية ٢٥٦.
٧. الدين، ص ٤٤٩؛ وانظر «دراسات في النفس الإنسانية»، ص ٢١٤.
٨. سورة المائدة، الآية ٣.
٩. سورة آل عمران، الآية ١٩.
١٠. المصدر السابق، الآية ٨٥.

المصدر: محمّد الرخيلي، «وظيفة الدين في الحياة و حاجة الناس إليها»، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، ١٤٠١هـ.

تذكر الآيات القرآنية منذ أربعة عشر قرنا خروج **موسى**عليه السلام من «مصر»، وعبوره البحر مع قومه هرباً من **فرعون** وجنوده الذين أطبقت عليهم المياه وأغرقتهم وبقيت جثّة فرعون محفوظة لتكون عبرة للأجيال «**الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**»[١]

***

والآن وفي عام (١٨٩٨م.) تحديداً وفي مدينة «طيبة» بوادي الملوك بمصر اكتشف العالم «لورت» (lorete) مومياء الفرعون **منبتاح ابن رمسيس الثاني** وفي ٨ يوليو عام ١٩٠٧م. رفع العالم «اليوت» عن هذه المومياء أربطتها ووصفها في كتابه «The Royal Mummies» عام ١٩١٢م.

وترقد المومياء الآن في قاعة المومياءات الملكية في المتحف المصري بالقاهرة، وبإمكان الزوار أن يروها.

وإعجاز الآيات القرآنية المعينة يتجلى أنه في عصر تنزيل القرآن كانت جثث الفراعنة بما فيها جثة منبتاح مدفونة بمقابر وادي الملوك (بطيبة) على الضفة الغربية لنهر النيل أمام مدينة الأقصر الحالية. وفي ذلك العصر ومنذ أربعة عشر قرناً كان كل شيء مجهولاً عن هذا الأمر ولم تكشف هذه الجثث إلا في بداية القرن الحالي على أيدي العلماء الإنكليز.

وقد كان لي شرف الاشتراك بدراسة نتائج هذه المكتشفات والاطلاع المباشر على سيرها منذ عام ١٩٩٠م. في المتحف المصري، حيث أعلنت مؤخراً نتائج الفحوصات التي أجرتها لجان علمية عالمية متخصصة مصرية وأوربية وأمريكية، تنص أن جميع المومياءات المصرية بدأت تظهر عليها آثار التحلل بتأثير أنواع فريدة من البكتريا (ما عدا جثة الفرعون منبتاح) فرعون موسى... إن من سمع استغاثة الفرعون وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، وأجابه بحفظ جثته بعد الغرق لتكون عبرة للناس من بعده، لا تأكله الأسماك... ولايذهب منكراً مع التيارات والأمواج، ولا يستقر في القاع مع العربات الملكية المغرقة، ولا تدب فيها عوامل الفناء، ولا تصيبها البكتريات التي أصابت بقية الجثث الفرعونية المحنطة.

إنّ من سمع ومن أجاب ومن حفظ الجثة إنه هو الله الذي أنزل آيات القرآن الكريم التي تصف الحادثة وحفظ الجثّةِ مِنَ الفناء (الإعجاز العلمي في الجغرافية).

الهامش:

١. سورة يونس، الآيتان ٩١ و٩٢.

المصدر: يوسف الحاج احمد، «موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة المطهّرة»، مكتبة ابن حجر، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.، ص ٤٤.

عن اي موضوع تحدثنا، فان احد اوجهه الجادة يعود الى الانسان. لذلك يبدو من الضروري التأمل حول الانسان وكيفية ظهوره ومصدر نشاته وغاية حياته ومسار تطوره. ان الحديث حول هذا الكائن، ليس بجديد. وقد شغل ذهن جميع المفكرين طوال التاريخ، وربما يمكن القول ان اي موضوع لم يكن مطروحا بهذا القدر في المجتمعات الانسانية. وبلاشك فان من الضروري التأمل في هذا الخصوص بالنسبة لجميع الذين يتعاطون مع القضايا الثقافية والادبية والانسانية، لان هؤلاء يتعاملون مباشرة مع الانسان وتنشئته ويسعون لحل مشاكله الفردية والاجتماعية.

إن دراسة المصادر الثقافية المتبقية منذ الازمنة الغابرة والى الان، تكشف النقاب عن تساؤلات اساسية حول الانسان، وتظهر انه في كل دورة وعصر، كان ثمة رجال اهتموا بكشف سر الكون واماطة اللثام عن وجه هذا الكائن ـ الانسان ـ وايجاد اجوبة تتناسب مع منظومتهم النظرية وانطباعاتهم، للاسئلة التي تطرح حوله، وبلا شك طالما بقي الانسان على هذه الكرة الارضية فان هذه التساؤلات والاجوبة ستستمر، لان هذا الكائن المفكر الذي يعتبر الفكر، شانه الاصلي، لن يتخلى عن التفكير وسيضيف دائما على الصرح القائم على انطباعات المتقدمين او انه سيبين او يخرف وجها خاصا من هذه الانطباعات. ولهذا السبب فانه لابد لنا من اكتساب المعرفة حول الكون والانسان والعالم، وكما انه في معرفة وانطباعات المتقدمين، ثمة سؤال يتبادر الى الذهن حول الانسان والعالم المحيط به وان هذا الكائن المفكر يسأل عن ميدان ظهور مواهبه (العالم) ويسعى للوصول الى الاسرار الكامنة وراء الصور الظاهرة وينقذ نفسه من الهواجس والقلق والغموض والتساؤلات. إن الاجوبة الناتجة عن الفكر والتأمل حول العالم المحيط بنا، هي كالماء الذي يُرش على النار المستعرة في باطن الانسان، لان اندلا ع الوقائع والدافع والفلسفة الكامنتان وراءها وبالتالي جميع «التساؤلات» الناتجة عن مشاهدة الطبيعة، تؤرق كلها الانسان وتنتزع منه استقراره وهدوءه. ان الانسان ومع مواجهته لموضوعي «الانسان» و «الطبيعة» والتساؤل حولهما، يضطر لمواجهة سؤال كبير حول الخلقة، الامر المهم الذي لابد منه. وهو المثلث الذي تتشكل اضلاعه من «خالق الانسان» و «الانسان» و «الطبيعة».

إن الغفلة قد تؤدي احيانا الى عدم انكشاف هذه النار الباطنية المستعرة والتمني الذاتي لدى الانسان (التفكير حول الكون). لكنه يعود الى هذه المكانة عاجلا أم آجلا ويتساءل عن مصدر الكون والنسبة القائمة بينه وبين خالق الكون، على امل ان توصله هذه التساؤلات الى منزلته الجوهرية وتباينها مع العالم المادي المحيط به. اي الوصول الى اجوبة ملائمة عن «منزلة الانسان في الكون» و «سبب وفلسفة خلق الانسان والطبيعة» و «الغاية من سير

وسفر الانسان في الارض» و اسئلة اخرى تتركز كلها على تعمق الانسان وتأمله في كل حياته.

إن دراسة الاعمال الدينية والفلسفية والفنية وحتى العلمية تظهر بان خلق جميع الاعمال البديعة وكتابة جميع المصادر الغنية، هي وليدة قدرات التفكير الادمي وبحوثه وتحرياته للكشف عن سر الكون، والا فان تدفق الاسئلة وبقائها من دون رد، يقحم الانسان في حالة من التعليق يجعل وجوده رديفا للظلام والجهل والغموض. وما يعقبه من موته وزواله التام قبل ان يداهمه رسول الموت الحتمي.

وبناء على ذلك يمكن القول بان **جميع اعمال الانسان، وطريقة عيشه في الارض وكيفية اقامته اتصالا بخالق الكون والطبيعة، رهن باجوبته اثناء مواجهته للاسئلة الكلية.** وهذا ما يميزه عن سائر الكائنات، وان نقطة الفصل بين الانسان والحيوان، هو التساؤل حول مجمل الكون. والان يمكن فهم انه لماذا اصبح الناس متشتتين ومتفرقين الى هذا الحد؟ ولماذا وقعوا في شرك اكثر امور الحياة النباتية والحيوانية، ابتذالا واسفافا؟ ولماذا وجد الانسان ان شأنه يساوي شأن النبات او الحيوان؟ الجواب واضح، ان الانسان لم يبدا بعد التساؤل حول ذاته ومكانته ودوره (في الكون) وامامه مشوار طويل للبحث والتحري من اجل الوصول الى الاجوبة المناسبة. لانه مع بروز المقام الانساني والخروج من الوجه النباتي والحيواني، يشغل الانسان مقام التساؤل عن كل الكون. ان يكون الانسان لم يبدا بعد السؤال وحتى ان هاجسا وقلقا وتوترا لم يداهمه في هذا الخصوص، مؤشر على انه لا يرى بعد ان ثمة فارقا بينه وبين الطبيعة او انه يفترض ان مقامه هو في مستوى مقام الكائنات الاخرى ويتابع حياة نباتية او حيوانية.

ويجب معرفة ان جميع الاسئلة المتمثلة في «ما العمل؟» تقع بين نقطتي «معرفة البداية» و «معرفة الوجهة والنهاية». ان المعرفة حول بداية الكون وغايته هي التي توضح كيفية وجود الانسان ومسار تطوره وحركته وكيفية عيشه، وبعد ذلك فان اي درجة وصورة من المعرفة يتحصلها الانسان، تجعله يسلك مسارا محددا بين البداية والنهاية ليضفي معنى على جميع وجوده وحياته. المعنى والمفهوم اللذان هما فوق انطباع الحيوان عن نفسه ومكانته ودوره. وبناء على ما ذكرنا، فان ايا من الموضوعات المطروحة في مجال العلوم الانسانية منذ الماضي البعيد والى الان، ليست بمنأى عن «انطباع عام» حول الانسان والطبيعة وخالق الكون وحيثما جرى الحديث عن الانسان ودوره ومكانته وعمله في الارض، يجب البحث عن موطئ قدم اجوبة اعلنتها مدرسة او مسلك او نحلة ولا يمكن العثور على اي عمل تم تعريفه او موضوع تم عرضه بحيث ان من عرضه سواء كان نبيا او عالما او منظرا او مفكرا او مصلحا، لم يوضح حول الانسان والموضوعات العامة القابلة للطرح حول الانسان ولم يرد على اسئلته المفترضة في اطار تعليمات وبخلاف ذلك فان الاعمال المهملة، ستدفع بانصارها ومنفذي تلك التعليمات الى هاوية الهلاك والانفعال والفراغ.

والحديث هنا لا يدور حول صحة او عدم صحة الاراء العامة الموجودة، بل ان جميع الذين لديهم كلام حول الانسان او مشروع لتسوية مشاكله المدنية او الاخلاقية، فانه لابد لهم ان يمتلكوا معرفة شاملة وكلية حول الانسان. ولاشك انه يجب البحث عن اكمل انطباع يوفر السعادة في الدنيا والفلاح في الاخرة وان يحتوي بجامعيته على اجوبة لكل التساؤلات الفردية والاجتماعية والباطنية والخارجية للانسان في كل عصر ودورة من حياته.

إن جميع الافعال والاقوال التي تفتقد للوجهة والتعريف الشامل، تصل الى نقطة عمياء ومعتمة وتورط الانسان في مسارها بحالة من التعليق والعجز، وبما ان وجهة ونهاية الافعال والاقوال غير معلومة فان الافعال العبثية ستحط في وادي الانفعال الذي سيصيب الانسان بالموت المبكر، لان الانسان غير قادر في ذاته على مواصلة حركة عمياء ومنفعلة. انه يبحث دوما عن مراتب عليا ورفيعة ليشاهد حياته ومماته بين النور والضياء من خلال اكتساب الاجوبة الجلية وليجد بدايته ونهايته.

إن قسما كبيرا من الغفلة والاكتفاء بالحاضر والحياة الحيوانية، هو حصيلة الانفعال والغموض الذي يواجهه الانسان. وكأن الغفلة هي الرماد الذي يغطي النيران المستعرة بداخل الانسان، والا فان امنية فهم حقيقة العالم، لا تترك الانسان، لان طبع الانسان غير ميال الى الاكتفاء.

المصدر: شفيعي سروستاني، إسماعيل، «الفكر، الثقافة و الأدب، الحضارة»، طهران، موعود العصر، الطّبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.ق./ ٢٠١٤م.

دور الابطال

إن عهود الملاحم كـ **الأوديسة والألياذة** ليست هي العهود التي توجه فيها الشعوب طاقتها الاجتماعية نحو أهدافها الواقعية، سواء أكانت هذه الأهداف بعيدة أم قريبة.

بل هي تصرف في مثل هذه العهود طاقتها تسلية واشباعا لخيالاتها. وما جهود الأبطال الذين يقومون بأدوارهم في تلكم الملاحم إلا جهود من أجل الطموح واكتساب المجد أو إرضاء العقيدة، فهم لا يقاتلون مدركين أن نصرهم قريب، وأن طريقهم إلى تخليص مجتمعهم محدد واضح. فمجدهم هذا أقرب إلى الأسطورة منه إلى التاريخ.

ولو أننا سألنا أحدهم عن بواعث كفاحه، فإنه لا يستطيع أن يجد بكل وضوح المبررات التي تتصل عادة بالأعمال التاريخية، فهو يعلم أن مجهوداته كلها تذهب هباء، غير أن دوافعه الدينية وشرفه الإنساني قد حتما عليه مثل هذا السير.

ولقد كان دور الشعوب الإسلامية أمام الزحف الاستعماري خلال القرن الماضي وحتى الربع الأول من هذا القرن دورا بطوليا فقط. ومن طبيعة هذا الدور أنه لا يلتفت إلى حل المشاكل التي مهدت للاستعمار وتغلغله داخل البلاد.

إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها... وما الحضارات المعاصرة، والحضارات أو تهدمها... وما الحضارات المعاصرة، والحضارات الضاربة في ظلام الماضي، والحضارات المستقبلة إلا عناصر للملحمة الإنسانية منذ فجر القرون إلى نهاية الزمن، فهي حلقات لسلسلة واحدة تؤلف الملحمة البشرية منذ أن هبط آدم على الأرض إلى آخر وريث له فيها، ويا لها سلسلة من النور! .. تتمثل فيها جهود الأجيال المتعاقبة في خطواتها، المتصلة في سبيل الرقي والتقدم.

هكذا تلعب الشعوب دورها، وكل واحد منها يُبعث ليكوّن حلقته في سلسلة الحضارات، حينما تدق ساعة البعث معلنة قيام حضارة جديدة، ومؤذنة بزوال أخرى.

وما أجلّ هذه الساعة! حينما تؤذن بفجر جديد من المدنية، وما أهولها من ساعة حينما تعلن غروب أخرى! وهكذا كان شأن «الجزائر» عام ١٨٣٠م.، فقد مضى على أفول شمسها زمن بعيد، وقضت في ليلها وقتا ليس بالقصير، ومن عادة التاريخ ألا يلتفت للأمم التي تغط في نومها، وإنما يتركها لأحلامها التي تطربها حينا، وتزعجها حينا آخر؛ تطربها إذ ترى في منامها أبطالها الخالدين وقد أدوا رسالتهم، وتزعجها حينما تدخل صاغرة في سلطة جبار عنيد.

فعندما برق في أفقنا فرس الأمير **عبد القادر** في وثبته الرائعة كان الليل قد انتصف منذ وقت طويل ثم اختفى سريعا شبح البطل الأسطوري كأنه حلم طواه النوم.

ثم توالت أشباح أخرى في موجة من الأحلام. تستمد مغزاها الأليم من تقاليد شعب بطل، أحب دائما الفرس والبارود، وكان تتابعها على الأخص في البوادي، حيث الخيل المسومة، والمجال الفسيح متوفران لدى القبائل.

فالرابطة القبلية قد ظلت وحدها الرابطة الوثيقة التي توحد بعض الرجال فيما يشبه وحدة رسالة، غير أن هذه الرابطة لم تكن بكافية لتأهيل شعب ليؤدي رسالة تاريخية، وإن كانت أهلته للقيام برواية حماسية رائعة، ولكن التاريخ يقرر أن الشعب الذي لم يقم برسالته، أي بدوره في تلك السلسلة، ما عليه إلا أن يخضع ويذل.

ولم يكن هناك في الحقيقة من يسجل هذه الحقبة من كفاح الشعوب ضد الاستعمار سوى هؤلاء المجاهدين من رجال القبائل، ولقد كان الأمير **عبد الكريم الخطابي** آخر من ارتشف من كأس البطولة الموروثة عن أجدادنا الأول، ولم يبق بعده باق ممن يهبون للنضال ضد المستعمر، من أجل البطولة المجردة، في سبيل الخلود، على سنة الذين عقدوا ألويتهم للكفاح، فقد كانت القبائل العربية البربرية تقاتل معه لا من أجل البقاء، ولكن في سبيل الخلود، ولقد كتب لها الخلود بما أوتيت من روح رفعتها فوق الهاوية، حيث هوى الآخرون، من الشعوب التي غمرتها موجة الاستعمار. فليسأل السائل عن مصير القبائل الأمريكية قبل كريستوف كولومب، أين هي؟ لقد أصبحت أحاديث وتمزقت كل ممزق، ودفنها التاريخ في طياته، حيث استقرت في ضميره نسيا منسيا، ونحن نرى في زوالها وانحلالها خير شاهد على أن الإسلام بما انطوى عليه من قوة روحية، كان للذين يتمسكون به درعا من أن تحطمهم الأيام، أو يذوبوا في بوتقة المستعمر، يتقمصون شخصيته.

ولكن شمس المثالية ما تزال تواصل سيرها، وسرعان ما انبلج الفجر في الأفق الذي يدعو فيه المؤذن إلى الفلاح، كل صباح، ففي هدأة الليل، وفي سبات الأمة الإسلامية العميق، انبعث من بلاد الأفغان صوت ينادي بفجر جديد، صوت ينادي: حيَّ على الفلاح! فكان رجعه في كل مكان، إنه صوت **جمال الدين الأفغاني** موقظ هذه الأمة إلى نهضة جديدة، ويوم جديد.

المصدر: مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، «شروط النهضة»، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.

التحصين الأسري في عصر الفضاء الافتراضي

لقد قلنا في الأقسام السابقة، أن سيادة القانون بما في ذلك سبل الوقاية من وخفض أضرار الفضاء الافتراضي داخل الأسرة، عندما توضع موضع التطبيق، فانه يتعين على جميع أفراد تلك الأسرة، سواء الأبوان أو الأبناء، التقيد بها، وألا يضربوها عرض الحائط على الإطلاق. والسبيل المقترح الأخر، تمثل في تحمل المسؤولية وتقبلها، تم ضمنه عرض أساليب حول تنشئة أبناء يتحملون المسؤولية، لكي يتم في ضوء أثر تحمل المسؤولية على التنمية الفردية والنمو الأخلاقي للأبناء، خفض أضرار الفضاء الافتراضي عندهم. والحالة الثالثة هي مبدأ التعليم والتوعية، وبيّنا فيها أن الأبوين يجب أن يحظيان باليد العليا في مجال وسائل الإعلام والفضاء الافتراضي، أي إضافة إلى كونهم يمتلكون معلومات كاملة وسيطرة على هذه الفضاءات، فانهم يقومون بتوعية أبنائهم تجاه هذه الفضاءات وكيفية التعاطي مع القائمين عليها. والحالة الرابعة، هي مبدأ بناء النموذج، وتم فيه القول أن الأبوين يمثلان أول وأهم نموذج، وبوسعهم أن يكونوا مرشدين جيدين للأبناء لاختيار النموذج المناسب. إن الأشخاص الذي يملكون قدوات جيدة في الحياة، بوسعهم في تقلبات الحياة، اعتماد وانتهاج الطريق الصحيح في الحياة.

أما الطريقة الأخرى التي يمكن أن تساعد الأبوين على تقليص أضرار الإعلام والفضاء الافتراضي، هي طريقة التحصين. وهذه الطريقة تتمثل في تحصين الأشخاص أمام الغزو والمشاكل والانحرافات المختلفة، بحيث يصل الشخص إلى مرحلة يستحدث فيها هو الردع والسيطرة الذاتية قبال الانحرافات، ولن يكون بحاجة إلى العناية الدائمة للآخرين. إن بناء الإيمان يقوم على خطوات مختلفة، نشير إليها فيما يلي:

الخطوة الأولى: تبيان مبادئ الدين للأبناء

إن أحد الواجبات المهمة للأبوين يتمثل في تبيان الدين وتعاليمه للأبناء. إن التبيان الصحيح للدين للأبناء، يمكن أن يضطلع بدور حاسم في السلوكيات الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية المختلفة للأبناء، ويسهم في تحصينهم بشكل ما. وإن اعتبرنا في أي ظرف، أن الله حاضر ويراقب أعمالنا، فاننا سنتحلى بطبيعة الحالي بضرب من التحكم الذاتي بالأهواء النفسية. وفضلا عن ذلك، فان الإيمان يؤدي إلى التحلي بالهدوء الفكري والروحي لدى الأشخاص

ولا سيما الابناء، وأن الإيمان بالحياة ما بعد الموت، ليس يؤدي إلى إيجاد هدف نبيل لدى الشخص فحسب، بل يرى أنه فوق كل سلوك أو عمل وذنب سخيف، ويتحاشي بالتالي السلوكيات غير السليمة.

الخطوة الثانية: التحصين عن طريق التواصل مع الله

وإن أقام الشخص تواصلا وارتباطا جيدين مع ربه، ويرى أنه دائما في حضرة الله، فانه ليس يتجنب ويبتعد عن الذنوب والآثام فحسب بل يستعين بالله في الصعوبات والمشاكل ويعتبر الله دائما بانه المساند والنصير له، ولن يصاب بالتالي بالقنوط والإحباط.

ويتحقق التحصين عن طريق تعزيز التواصل مع الله لدى الأبناء بالطرق التالية:

١. الصلاة: وقال الله تعالى في القرآن الكريم: «... **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ...**»[١] ويطلب من النبي الأكرمﷺ أن يأمر أهله بالصلاة، وهذا ليس يؤشر إلى أهمية الصلاة فحسب بل يشير إلى مسؤولية الأسرة في دعوة أفرادها لإقامة الصلاة: «**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ...**»[٢]

وروي أن النبي الأكرمﷺ نظر إلى بعض الأطفال فقال: **«ويل لأولاد آخر الزمان من آبائهم فقيل يا رسول الله من آبائهم، المشركين؟ فقال لا من آبائهم المومنين، لايعلّمونهم شيئا من الفرائض وإذا تعلّموا أولادهم منعوهم ورضوا عنهم بعَرَضٍ يسير من الدنيا فأنا منهم برىء وهم منّى براء.»**[٣]

٢. القرآن: قال النبيﷺ: **«إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن.»**[٤]

٣. الاستئناس بالمراكز الدينية: إن استئناس الآباء والأبناء بالمراكز الدينية، سيكون ذا أثر بالغ في تواصلهم المؤثر مع الله تعالى وبالتالي التحكم الذاتي لديهم في مواجهة وكيفية استخدامهم لوسائل الإعلام. ويتعرف الأشخاص في هذه الأماكن على أصدقاء ونماذج وقدوات جيدة، ترافقهم وتواكبهم في مسار عبادة الله.

الخطوة الثالثة: تعزيز الرؤى

ويقول الإمام الصادقؑ: **«العامل على غير بصيرة كالسّائر على غير الطّريق لا يزيده سرعة السّير إلّا بعدا»**[٥]

ومن أجل زيادة بصيرة الأبناء ورؤيتهم تجاه وسائل الإعلام والفضاء الافتراضي، نقترح الأسلوبين التاليين:

١. إثارة تساؤلات مفتاحية ومحفزة على التفكير: إن بعض التساؤلات حول الفضاء الافتراضي والأداء الإعلامي، تحفز المرء على التفكير، وتسهم في زيادة نسبة وعي الأبناء. على سبيل المثال، لماذا يتم وضع عقوبات على الدول في مجالات عدة من دون أن يُحظر عليها استقبال القنوات الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت والهواتف الجوالة الذكية و... ؟

٢. إثارة الشبهات ومساعدة الأبناء على الرد: بمعنى أن يقوم الأبوان هم بإثارة شبهات حول الفضاء الافتراضي، ويخوضون هم نقاشا كمدافعين عن الشبهة، ويستفسرون عن وجهة نظر أبنائهم بهذا الخصوص، ومن ثم توجيه الأبناء بكياسة نحو الجواب الصحيح.

٣. تعريف الأبناء على حكام الفضاء الافتراضي وكواليسه ومآربه وأغراضه.

٤. عرض مقاطع فيديو وخطابات الدول مالكة الفضاء الافتراضي بشأن هذه الفضاءات، يمكن أن يكون مؤثرا جدا، لان ذلك يعكس وجهات نظر هؤلاء المالكين ويحظى بالتالي بمزيد من القبول.

وثمة خطوات أخرى في مجال التحصين، نتناولها بالشرح في الأقسام التالية باذن الله.

الهوامش:

١. سورة العنكبوت، الآية ٤٥.
٢. سورة طه، الآية ١٣٢.
٣. «جامع الأخبار»، تاج الدين شعيري، ص ١٠٦.
٤. موسائل الشيعة»، ج ٦، ص ١٦٩.
٥. «المحاسن»، ج ١، ص ١٩٨.

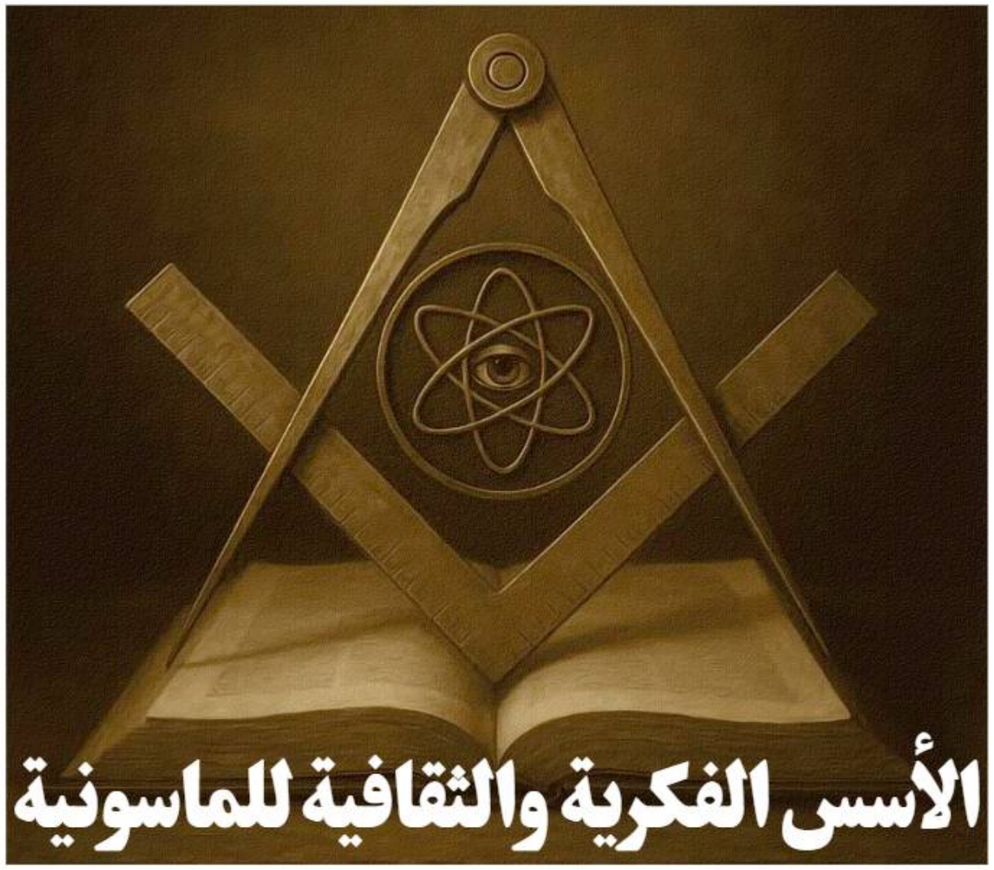

الأسس الفكرية والثقافية للماسونية

إن الواقعة التي لا يمكن المرور عليها مرور الكرام، هي صياغة «الموسوعة التنويرية الفرنسية الكبرى». وقد أقدم المثقفون الإنسانويون الفرنسيون في القرن الثامن عشر وإبان الثورة الفرنسية وعصر التنوير، على تأليف وإصدار «الموسوعة الفرنسية» في خطوة لترسيخ مبادئهم وتنظيم أكبر المصادر الثقافية في عصرهم. وكان أصحاب الموسوعة قد إلتأموا برئاسة **ديدرو** (١٧١٣-١٧٨٤م.). وكانوا ينوون بداية ترجمة موسوعة «تشيمبوز» إلى الفرنسية، لكن هذا لم يتحقق، وعليه لجأوا إلى التأليف.

وكان هذا الفريق يضم كلا من: **دالامبير وفولتر** (١٦٩٤-١٧٧٨م.) **ومونتسكيو** (١٦٨٥-١٧٥٥م.) **وجان جاك روسو** (١٧١٢-١٧٧٨م.). وبالرغم من أن إصدار هذا العمل، تأخر بعض الشيء لدواع سياسية، لكنه صدر في النهاية بصورة سرية.

وتم تأليف هذه الموسوعة في أهم منعطف للتاريخ الغربي أي القرن الثامن عشر لتضم في عصر التوجهات الفلسفية الخاصة ومن ثم زمن الإعراض عن الدين، الأفكار الحديثة للفلاسفة والعلماء ومستكشفي العالم الحديث والسياح والمؤرخين، وتتحول إلى مصدر قابل للإستناد لتدعيم الأسس الثقافية للتيار التنويري الأوروبي.

وتم في هذا العصر ومن خلال هذا العمل الضخم، تقديم الأفكار الفلسفية لكل من **بيكن وديكارت وهوبز ولوك وباركلي واسبينوزا** و... وكذلك الأفكار العلمية لـ**كوبرنيك وساليوس وكبلر وغاليليو وديكارت ونيوتن وأفكار السياح والآخرين.**

ويشكل الأدب الفرنسي أحد أسباب أثر هذا العمل وإضطلاع فرنسا بدور في الحقل الثقافي للغرب بالقرن الثامن عشر.

إن النفوذ الصناعي الفرنسي في القرن الثامن عشر في أوروبا لم يكن كبيرا. لكن أثر أدبها كان أكبر بكثير. وكانت باريس تعد في القرن الثامن عشر، بمنزلة دماغ أوروبا، وكانت اللغة الفرنسية تعد اللغة الدولية تقريبا. ويقول أحد الشعراء الإيطاليين عام ١٧٥٨ للميلاد: «إن اللغة الفرنسية كانت وسيط التواصل بين الشعوب، لانه حيثما ذهبنا، فانهم يقرأون الفرنسية ويكتبونها.»[1]

وعلى الرغم من أن التطورات الفكرية والثقافية للتاريخ الغربي الحديث، بدأت من «إيطاليا» بيد أن «فرنسا» القرن الثامن عشر، إضطلعت بدور لا يمكن إنكاره في بسط هذه الثورة الفكرية لتغطي الطبقات الثقافية وتغير العلاقات والتعاملات السياسية والحقوقية والإجتماعية.

إن أعمال كتاب القرن الثامن العشر الفرنسيين، تختلف تماما عن أعمال القرن الذي سبقه.

ولم يكن الأدباء يهتمون بالصناعة، ولم يطلبوا الأدب من أجل الأدب، بل اعتبروه وسيلة وأداة للتعبير عن آرائهم السياسية ودرسوا الإنسان من حيث إنتمائه للمجتمع والعلاقات والدولة ووجهوا بحوثهم نحو هيكل الدولة. وقاموا بتحليل كافة الآراء السياسية التي ورثوها من الأجيال السابقة والتي كانت واجبة الإتباع والطاعة ككتاب منزل، واحدة واحدة، ونظروا إليها بنظرة نقدية وميزوا الصائب عن السقيم والجميل عن القبيح، وعرضوا بدلا من المبادئ السياسية المنسوخة، مبادئ جديدة تحولت إلى أساس للتنظيم الجديد.[2]

إن ما يشير إليه كتاب تاريخ القرن الثامن عشر والثورة الفرنسية كـ**نظرة نقدية لمبادئ ومعتقدات الأقدمين**، يمثل في الحقيقة إعراضا عن التقاليد الدينية والإنطباعات الوحيانية وإحلال التقاليد الإنسانوية والعلمانية للعصر الغربي الحديث محلها والتي ترسخت تحت عنوان «المبادئ الحديثة».

ولا ننسى أن تراث السلطنة المطلقة والإمتيازات الطبقية الخاصة في القرن الثامن عشر، كان لها بالغ الأثر في تحول التوجهات السياسية والاجتماعية للعلماء الفرنسيين. وعليه يمكن إستنباط أن دعائم النظم السياسية والاجتماعية والنظام القانوني قد ترسخت بين الجماهير في العصر الفرنسي الجديد.

وانقسم خلفاء مفكري القرن السابع عشر بمن فيهم وبان وفنلون ولوك، إلى فئتين من العلماء بالقرن الثامن عشر: فئة الفلاسفة وفئة علماء الإقتصاد. وانصبت جهود الفلاسفة على دراسة القضايا السياسية والأخلاقية والدينية والاجتماعية، وثلاثة من مشاهيرهم هم مونتسكيو وفولتير وروسو برزوا أكثر من غيرهم، فيما أصبح كِسنى[3] **وغورني**[4] **أشهر علماء الإقتصاد، إذ سلطا الضوء على مبادئ الثروة وظروف العمل والصناعة والتجارة ونظم الضرائب.**

أما اللغويون أو الموسوعيون فيمكن إدراجهم في فئة الفلاسفة وكذلك في صنف علماء الإقتصاد.

وإصبح دالامبير وديدرو من زعماء هؤلاء الموسوعيين وكانا يعبران رواد النهضة المعاكسة للمبادئ القديمة ورافعي راية ترويج المعتقدات الجديدة.[5]

إن هذه العبارة التي أطلقها **تورغو** (١٧٢٧-١٧٨١م.) الذي كان قبل توليه الوزارة، أحد الكتاب الموسوعيين، تبين أحوال علماء هذا القرن بالكامل:

إن حقوق الأفراد الذين يشكلون مجتمعا ما، لا تقوم على الماضي التاريخ، بل مبنية على الطبيعة البشرية.

وكان جميع علماء هذا العصر، يعتبرون العقل، مرشدا ودليلا لهم وكانوا بصدد إلغاء جميع مبادئ الأقدمين وجعل العقل يعتلي العرش.

ويقول دالامبير في مطلع القرن:

"إن الحكمة تعني معرفة الحقوق الحقيقية للعقل وإعادة قدرة العقل المفقودة إليه ورفع طوق الهوامش وسلطة أصحاب الحكم والزعامة عن عنق الأفكار والآراء». ويمكن في الحقيقة إعتبار هذه العبارة، شعارا لمفكري القرن الثامن عشر.[6]

إن عدم درك الشرقيين، لهذا التعبير والأسس النظرية الداعمة له، أدى بهم إلى عدم تقربهم من الغرب (بالمعنى الحقيقي للكلمة) رغم كل الجهود والمحاولات والتكاليف التي أنفقت، وأن يظلوا يراوحون من منطلق الإنفعال في موقع بين الشرق والغرب. إنهم فسروا إعتماد النزعة الغربية بمنزلة تقليد الغرب وشراء المحاصيل التكنيكية الغربية بدلا من إعتبار أن ذلك يحصل في الميدان الثقافي بمعنى عقلنة العلاقات، وفي الوقت ذاته، إستغفلوا تماما حقيقة الشرق أي النزعة إلى الدين، لذلك، فان سكان الشرق لم يصبحوا لا عقلانيين ولا دينيين.

وقد امتنع مؤلفو الموسوعة في المجلد الأول منها، عن مهاجمة الدين. وفي المجلد الثالث، هاجموا المسيحية، لكنهم غلفوا هجومهم بغلاف معتقدات الديانة المسيحية الأصيلة.

وكان المؤلفون [الموسوعيون] يأملون أن يرسوا في ثمانية مجلدات من الموسوعة، الهيكلية الفلسفية المتكاملة على هذا المبدأ: الدين الطبيعي الذي يعد فيه الله المسبب الأزلي الوحيد؛ وعلم النفس الطبيعي الذي يعد فيه الذهن، نتاج وظاهرة الجسد؛ والأخلاق الطبيعية التي تعد فيها الطيبة، الواجب المتبادل بين الأناس، لا واجب الإنسان تجاه الله.[7]

وتمت إعادة طباعة الموسوعة ثلاثة وأربعين مرة على مدى خمسة وعشرين عاما، والتي كانت غير مسبوقة بالنسبة لمجموعة بهذا الثمن الباهض.

... وكانت بشارة العقل مقابل الأساطير [الأمر المقدس] والعلم والمعرفة مقابل الجزمية [الدينية] والتقدم [التنمية] عن طريق التعلم، يجول أرجاء أوروبا كالسحاب الماطر ويحطم التقاليد ويحث الأذهان على التفكير ويحضر الناس للنهضة والتمرد. وكانت الموسوعة، ثورة قبل الثورة الفرنسية.[8]

وكانت «الموسوعة» تتولى كعمل ثقافي وفلسفي، صياغة وتنظيم جميع إنطباعات وإستنتاجات العصر الجديد في إطار عمل يمكن أن يحظى بقبول وإقبال عامة الجماهير.

إن الهبوط بالدين والحقيقة الدينية إلى مستوى الدين الطبيعي الذي لا ينطوي على أي تكليف وشريعة سماوية، هو بمنزلة الهبوط بالإنسان إلى مستوى البهيمة الفاقدة للروح المجردة والماورائية وإصطناع النسبية الأخلاقية والحط من قدر النشأة الثابتة والمطلقة للأخلاق الدينية، الأمر الذي يجلب معه، العلمانية والليبرالية ومذهب الإصلاح في جميع الميادين الثقافية، ويدفع بالتاريخ الغربي العصري بإتجاه تجربة العصرنة والحداثة في الميادين الثقافية والحضارية.

إن الموسوعة وحسب البيان الذي بشر بصدورها، كانت عبارة عن قائمة الجهود والمساعي التي بذلها العقل البشري في القرون السالفة لمعرفة المسائل المختلفة، بعبارة أخرى، كانت ثقافة شاملة ومفصلة تحوي جميع معطيات ذلك العصر وتتحدث عن كل شاردة وواردة وصغيرة وكبيرة. بدء من تصنيع مستحضر تجميل الوجنتين وصولا إلى ترتيب الدول وتنظيم الشرائح الإجتماعية.[٩]

ويقر عامة الباحثين بأثر الموسوعة على الثورة الفكرية والثقافية الفرنسية، فضلا عن ضرورة التذكير بان أصحاب «الموسوعة» كانوا جميعهم ماسونيين.

لقد أخرجت فرنسا على يد ديدرو ودالمبير وهلفاتيوس وكندرسة وغيرهم. إن هذه النهضة الفكرية، تركت أثرا بالغا ومعمقا على عقلية هيئة فرنسا ما قبل الثورة، إن هذا المعجم الكبير (الموسوعة) كان بمنزلة البرنامج الفكري للبنائين الأحرار، في الفترة التي سبقت هذا التاريخ، أي منذ تأسيس غراند أوريان [الشرق الأعظم] عام ١٧٣٧ للميلاد، إذ اقترح الفارس رامسي في كلمة شهيرة له في تلك الحقبة، أن يتعاون الأساتذة الكبار في جميع الأمم ويحفزون هذه الأمم على إعتناق الأخوة، وأن يقوموا وفي ظل الدعم من الأساتذة الكبار، بصاغة ثقافة شاملة تنطوي على جميع الفنون والعلوم المفيدة والحرة. وما أن تم ضبط وتنظيم غراند أوريان واستطاع بلاط «بروس» الإمساك بزمام الأمور، أهم قادة سريون وخفيون، ديدرو ورفاقه الذين كانوا بمجملهم من البنائين الأحرار، بان ينقلوا ثقافتهم الكبرى من حيز النظرية إلى مرحلة التطبيق، وعملوا على تعزيزهم ماديا ومعنويا. وانتشرت هذه الثقافة الكبرى وبالعلوم والمعارف الجديدة في المجمع الفرنسي، وقضت بذلك على المبادئ والتقاليد والعبارات القديسة وطعنت بالمعتقدات والخرافات الدينية، بحيث اضطرت الحكومة الفرنسية للتدخل وأوقفتها عند حدها.

أن يكون إصدار الموسوعة في القرن الثامن عشر، من عمل البنائين الأحرار، أمر لم ينكره البناؤون الأحرار أنفسهم، بل أنهم افتخروا به، ويمتدحون التذكير به، بما في ذلك قول البناء الحر، بريند، الذي أدلى به في «مؤتمر غراند أوريان» عام ١٩٠٤ للميلاد، إذ قال:

وكانت الموسوعة قد ارست في القرن الثامن عشر في معابدنا، هيئة حماسية وملحمية، وكانت الهيئة الوحيدة في ذلك العصر الذي لم يكن الناس يعرفون فيه شيئا، أطلقت شعار الحرية والمساواة والأخوة المطنطن، وأثمرت البذرة الثورية التي زرعها أولئك الرجال الصفوة بسرعة، وأكمل أخواننا، البناؤون الشهيرون، دالمبير وديدرو وهلفاتيا [هلفاتيوس] وأولباخ وفولتير وكندرسة تحول وتطور العقول وأعدوا التحضيرات للعصر الجديد، وما أن سقط «الباستيل» تمثل الفخر الرفيع للبنائين الأحرار في أن ذلك القرار الذي أطلقوه بخلوص نية، وهبوه لعالم الإنسانية وتمثل في إعلان حقوق الانسان.[١٠]

وتقدم «الموسوعة الكاثوليكية» معلومات مهمة في مهمة «الشرق الأعظم» [غراند أوريان] المناهضة للدين أو الماسونية الفرنسية ذاتها:

ويستشف من الوثائق الرسمية للماسونية الفرنسية الموجودة بصورة رئيسية في النشرة الخبرية الرسمية للشرق الأعظم أن جميع اللوائح المناهضة لرجال الدين التي صودق عليها في الجمعية الفرنسية، كانت قد صيغت قبل ذلك في المحافل الماسونية ونفذت تحت إشراف مباشر من الشرق الأعظم، وهدفها السافر تمثل في السيطرة على كل شخص وكل شئ في فرنسا.

إن تصريحات ممثل مَسه[١١] بعام ١٨٩٨ للميلاد، هي تصريحات المتحدث الرسمي لجمعية عام ١٩٠٣ الميلاد، إذ يقول:

إن أسمى واجب للماسونية، هو التدخل المتزايد في النضالات السياسية والمناهضة للدين. إن النجاح (في النضال ضد رجال الدين) رهن إلى حد كبير بالماسونية، لان نية الماسونية وبرنامجها وأساليبها هي التي انتصرت[١٢]

وتواصل «الموسوعة الكاثوليكية» تقريرها حول مكافحة الماسونية الفرنسية للدين، هكذا:

إن جميع الإصلاحات التي نفذها الماسونيون تحت مسمى مناهضة رجال الدين، منذ عام ١٨٧٧ للميلاد في فرنسا بما في ذلك جعل التعليم غير ديني والقيام باجراءات ضد المدارس المسيحية والمؤسسات الخيرية الخاصة وقمع التعاليم والأوامر الدينية ونهب الكنائس في إعادة التأهيل المناهض للمسيحية والدين للمجتمع الإنساني، بلغت في الحقيقة أوجها ليس في فرنسا وحدها بل في جميع أرجاء المعمورة. وبذلك، فان الماسونيين الفرنسيين بصفتهم حاملي راية جميع الماسونيين يزعمون أنهم البادئين بالعصر الذهب للحكم الكوني للماسونية، وأن جميع الأناس والبلدان ينتمون لعضوية الأخوة الماسونية. وقال أستاذ محفل الشرق الأعظم السيناتور دلبش[١٣] **في ٢٠ سبتمبر ١٩٠٢ للميلاد:**

«إن النفوق الجليلي[١٤] **[الإسم الذي كان يطلقه المشركون على السيد المسيح] إستمر عشرين قرنا، لكنه يزول اليوم بدوره... وقد أرسيت كنيسة روما على أساس الأسطورة الجليلية، لكنها تراجعت يوما بعد يوم مع استقرار الجمعية الماسونية.»**[١٥]

الهوامش:

١. ماله، آلبر – إيزاك، جول، «تاريخ القرن الثامن عشر للثورة الفرنسية الكبرى وإمبراطورية نابليون»، ترجمة رشيد ياسمي، مكتبة إبن سينا، الطبعة الرابعة، ١٣٥٧هـ .ش.، ص ٢٩٦.

٢. المصدر السابق، ص ٢٩٧.

3. Quesnay.

4. Gournay.

٥. ماله، آلبر – إيزاك، جول، «تاريخ القرن الثامن عشر للثورة الفرنسية الكبرى وإمبراطورية نابليون»، صص ٣٠٠-٣٠١.

٦. المصدر السابق، صص ٣٠٠-٣٠١.

٧. موسوي، حميد، «الفلسفة في عصر التنوير» (مقال)، الموقع الإلكتروني: www.farashenakht.blogfa.com

٨. المصدر السابق.

٩. ماله، آلبر – ايزاك، جول، «تاريخ القرن الثامن عشر للثورة الفرنسية الكبرى وإمبراطورية نابليون»، ص ٣١٠.

١٠. عنان، محمّد عبدالله، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، صص ١٣١-١٣٢.

11. Masse.

١٢. يحيى، هارون، «الماسونية العالمية»، المصدر السابق، ص ١٦٨؛ نقلا عن:

The Catholic Encyclopedia, Masonary, new advent.

13. Delpech.

14. Galilean.

١٥. يحيى، هارون، «الماسونية العالمية»، المصدر السابق، ص ١٦٨.

المصدر: «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة» (الجزء السادس): فرسان الهيكل وأسس الماسونية، إسماعيل شفيعي سروستاني، طهران، هلال، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

في فترة سيادة الأبناء، يجب على الآباء مراعاة المحاور التالية:

– التمتع بفوائد التعليم وقيادة الأبناء إلى قيم ومسائل متسامحة ومقدسة تنسجم مع طبيعته الإلهية. قال الإمام علي عليه السلام: **«وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته.»**[1]

– في نفس العمر، يجب أن يكون الأطفال على دراية بالمعايير الدينية والقضايا العقائدية والواجبات الإلهية. ويمكن لنا تحديد مرحلة الطّفولة عند الإمام علي عليه السلام عن طريق كلامه حول التّطوّر الذّهني والجسدي للإنسان، إذ يقول عليه السلام:

«إِنَّمَا الْغُلَامُ إِنَّمَا يَتَغَيَّرُ فِي سَبعِ سِنِينَ، وَيَحْتَلِمُ فِي أَربَعَ عَشرَةَ سَنَةً، وَيَستَكمِلُ طولُهُ فِي أَربَعِ وعِشرِينَ سَنَةً، وَيَستَكمِلُ عَقلُهُ فِي ثَمَانِ وعِشرِينَ سَنَةً، وَمَا كَانَ بَعدَ ذلِكَ فَإِنَّمَا هُوَ بِالتَّجَارِبِ.»[2]

وأيضًا قال: **«حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه ويعلمه القرآن.»**[3]

يجب أن يكون الآباء على دراية بحقيقة أن الطفل في هذا العمر له شخصية خاصة به وأي سلوك معه غالبًا ما يؤثر على المراحل اللاحقة من حياته ويختار مسارًا تحت تأثير التربية الأبوية. إذا كانت هذه الجهود التربوية غير مكتملة وغير كافية ومكتسبة بشكل سيئ، فسوف تنأى بنفسها عن طريق الخير والخلاص والفضيلة. لذلك يجب على الوالدين أن يتقبلوا الطفل كأحد أفراد الأسرة القيمين وأن يتجنبوا التعارض، خاصة في وجوده، وألا يفكروا فقط في تغذيته الجسدية، ولكن أيضًا يساعدوه ويوجهوه في تحديد مجرى حياته.

لسوء الحظ، يفرض معظم البالغين قيودًا أو أوامر أو يعاقبون أو يهددون بمعاقبة الأطفال بدلاً من استخدام الأساليب الفعالة.

إن تطبيق هذا النوع من أساليب التحكم له تأثير سلبي على عقول ونفسية الأطفال، لذلك يجب على الآباء الا يستخدموا أساليب قسرية للسيطرة على الأطفال حتى لا يواجهوا مشاكل أخلاقية وسلوكية، وللتربية المفيدة تأثير عميق ودائم على حياتهم. يجب على الآباء ان يستخدموا مع الأطفال الأساليب التي تعزز قدرتهم على تحقيق شخصية صحية وديناميكية وواثقة وجيدة.[4]

منبع المحبة والعاطفة

في السنوات السبع الأولى يُعفى الطفل من التعليم الجاد والنظامي، وفي هذه الفترة يكون له حرية أكبر في التصرف ولا يُفرض عليه أعباء شاقة، ومن هنا قيل: اتركوهم سبع. الطفل ذو قيمة على الرغم من صغر سنه ويجب احترامه وان يشعر انه محبوب داخل الأسرة.

لا يوجد مكان افضل يقدم المحبة والسلام لإرضاء مشاعر الطفل من البيئة أسرية . من الثغرات التي يمكن للوالدين تربية اطفالهم هي ثغرة الحب، ومن خلاله يمكنهم السيطرة على الطفل، ومع تنمية شخصيته يمنعانه من الوقوع في وادي الفساد والانحراف. فالتعبير عن الحب له تأثير على التربية الصحيحة للطفل، حيث قال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: «نظر الوالد الى ولده حبا له عبادة.» كما اكد الرسول صلى الله عليه وآله على: **«اكثروا من قبلة أولادكم فان لكم بكل قبلة درجة في الجنة مسيرة خمسمائة عام.»**[5]

التعبير عن اللطف والمحبة في المركز الأسري غذاء روحي يجب أن يستمر عن طريق الاهتمام. يجب أن يتجلى الحب بشكل لا يشك فيه الأطفال ويمكنهم فهمه والإحساس به، وفي التعبير عنه، يجب ألا يكون هناك تمييز بين الأبناء، مما يخلق الذل والانحراف والاستياء بين فيما بينهم، الإنسان الذي تتعطش روحه إلى النعمة والحب لا تُروى في دفء الأسرة، يتم إغوائه خارج المنزل ويقع فريسة ألسنتهم الكاذبة وينجذب الى بعض عوامل الجذب الكاذبة، وسيؤدي استمرار هذا الوضع إلى الانحراف والأضرار في شخصية الأبناء.

غالبًا ما يكون الأطفال الصعبون هم أولئك الذين دخلوا عالم الأسرة المضطربة الذين لم يشعروا بالدفء والاستنارة بنور الرحمة، أو على الأقل شعروا بشفقة الآخرين عليهم بدلاً من الحب. هؤلاء المحرومون، ضحايا جهل وقسوة الأسرة، يلبيون حاجتهم للحب عن طريق التباهي وجذب انتباه مجتمعهم .

لا يمكن لرياض الأطفال ودور الحضانة العامة أن تحل محل محبة الآباء الصادقة بابتسامات موظفين محترفين ومناسبين. يكتب الدكتور **ألكسيس كارل:**

الأمهات اللاتي يرسلن أطفالهن إلى رياض الأطفال للقيام بأعمال مكتبية، وهواياتهم الفنية والأدبية وغيرها تطفئ نيران الحب لدى الأطفال لأنهم لا يحصلون على ضوء الدفء والنور الذي يأخذونها من الوالدين.

في العائلات التي لا تتألق فيها هذه الجواهر القيمة، سنرى فيها العديد من الآلام النفسية والمشاكل الاجتماعية. الأطفال الذين يتم التعامل معهم بالحب والعاطفة في أسرهم ويتم تلبية احتياجاتهم الطبيعية والأساسية بشكل مناسب، سيظهر عليهم مواهبهم المحتملة في الحقول بوجه سعيد ومبتسم وبطاقة عقلية رائعة.

بشكل عام، فإن الظروف العاطفية الممتعة للأطفال في سن مبكرة لها تأثير كبير على التطور الأمثل لشخصيتهم، فهم يواجهون قضايا مختلفة في الحياة بدافع قوي ومحاولة ونضال.

من مظاهر التغذية العاطفية للطفل اللعب معه، وهذا ما أكدته الشريعة الإسلامية، فقال الرسول الكريم: **«من كان له ولد صبا.»**[6] اللعب مع الطفل، بالإضافة إلى غمره في المتعة، يزيد من الألفة والرحمة، ويقوي ثقة الطفل بنفسه وإحساسه بقيمته.

الهوامش:

١. «نهج البلاغة»، رسالة ٣١.
٢. «مكارم الاخلاق»، ص ٢٥٤.
٣. «نهج البلاغة»، ترجمة فيض الاسلام، ص ١٢٦٤.
٤. «مستدرك الوسائل، باب ٦٤، ج ١٥، ص ١٧٠.
٥. «وسائل»، ج ٢١، ص ٤٨٥.
٦. «وسائل الشيعة»، ج ٢١، ص ٤٨٦.

المصدر: موقع الواح طينية.

لدينا ثلاثة مذاهب في تفسير وفهم الغيبة الكبرى للإمام عجل الله فرجه كما هو الحال في أغلب المسائل الاعتقادية فهناك الافراط وهناك التفريط وهناك الوسطية.

فالبعض أفرط في معنى الغيبة لحد الغلو فيها فصوّر الغيبة بمعنى مزايلة الإمام عن موقع المسؤولية وابتعاده وإقصائه وعدم التصدي الفعلي ولو بسبب الظالمين، فتصور أنها غيبة حضور أي انقطاع الإمامة في فترة الغيبة الكبرى وبذلك يكون الإمام عجل الله فرجه والعياذ بالله قد تخلى عن ساحة المسؤولية والتصدي للولاية الإلهية، فلما كان الإمام غائباً فهو منقطع ومبتعد وقاصي عن الناس والرعية ولما كانت النيابة الخاصة والسفارة منقطعة بالأدلّة القطعية فلا تمثيل للإمام، فبالتالي ليس الإمام موجوداً ولا يوجد من يمثله وليس هناك أيّ طريق يدل عليه ولا أيّ باب يُنفذ منه إليه من هنا سمي النائب باباً إذ منه يُنفذ للإمام عجل الله فرجه فالغيبة تعني انعدام وجود الإمامة وابتعاد الإمام عن مسؤولياته وتصديه وبالتالي فإنّ مهام ووظائف وواجبات الإمام عجل الله فرجه معطّلة لحين ظهوره وتصديه للقيام بها، ومن تبنى هذا التفسير صار في حيرة في توجيه نيابة الفقهاء في فترة الغيبة الكبرى وكيفية رسم صلاحياتهم بعد أن عطل بحسب مبناه دور الإمام تماماً، فذهب بعض منهم إلى الشورى وبعض إلى

إجماع الأمّة وبعض إلى الضرورة والمصلحة وغيرها.

ومن الواضح أن هذا التفسير خاطيء فإنّ الإمامة والإمام لا يمكن انعدامها، وهو إفراط في تفسير معنى الغيبة، وهذا المعنى الافراطي يُناقض أصل معتقد الإمامية بالإمامة لأنه بالتالي يؤدي بنا هذا التفسير إلى وجود فترة زمنية ليس فيها إمام فإنّ آخر الأئمّة عليهم السلام هو الحسن العسكري عليه السلام وباستشهاده انعدمت الإمامة إلى ظهور المهدي عجل الله فرجه وبالتالي ففي فترة الغيبة الكبرى ليس هناك إمام يقوم بأعباء الإمامة ومسؤولياتها، فنتساوى حينئذٍ في تلك الفترة مع المدارس الإسلاميّة الأخرى في القول بعدم وجود الإمامة وكأنما أصبحنا كالواقفية يعني من وقف على إمامة أحد الأئمّة عليهم السلام، وبحسب هذا القول والتفسير نكون قد وقفنا على إمامة الحسن العسكري عليه السلام ولم نقل بإمامة المهدي عجل الله فرجه، إذ لا تكون إمامة المهدي إلّا في الظهور، وهذه الفترة وهي الغيبة الكبرى خلت من أيّ حجةٍ فلا رسل فيها ولا أنبياء ولا أئمّة.

وهذا المعنى الخاطيء صوّرته بعض المذاهب الإسلاميّة الأخرى بل بعض الكتابات في وسطنا أيضاً حيث رسّمت معنى الغيبة بما يؤدي إلى وجود هذه الفترة الخالية من الإمام عجل الله فرجه، نعم لا مانع من وجود فترة ليس فيها ظهور للإمام كما هو الصحيح في الغيبة لكن من غير الصحيح القول بفترة لا يوجد فيها إمام.

وبالتالي أشكل عليهم بأن هذا المعنى يلزمه عدم التوافق مع الحديث المروي عند الفريقين «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.**»[1] بل في روايات الفريقين ما هو أعظم من ذلك وهي رواية «**من مات وليس في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية.**»[2] فليس عدم معرفة الإمام بل عدم بيعته إذ قد يعرفه لكن لا يتضامن مع مساره أي لا يتضامن مع أتباع أهل البيت الذين هم على منهاج أهل البيت عليهم السلام بل يتبع منهاج غيرهم وهو في الواقع فسخ البيعة مع الإمام المعصوم، فعلى أيّ تقدير فقد ورد أن من مات وليس في عنقه بيعة للإمام فإنّه مات ميتة جاهلية، وبالتالي على هذا القول والتفسير للغيبة كل من مات في الغيبة الكبرى حيث ليس في عنقه بيعة للإمام مات ميتة جاهلية، هذا هو لازم قولهم وهل يمكن الالتزام بذلك؟

وقد حاول البعض الآخر التخلص من هذا الإشكال فصوّر الغيبة بمعنى آخر حيث اعتقد بأنه من غير الصحيح تصوير انقطاع الإمامة بهذا المعنى وهو تفسير باطل وفيه زيغ في الاعتقاد بالإمام فلا بدَّ أن يكون الإمام ناشطاً قائماً بالأمر وبأعباء المسؤولية وذلك من خلال التمثيل الرسمي له، فصور هذا القائل أن للإمام عناصر تمثله في العلن، وبالتالي فهو معنى تفريطي حيث إن هذا التفسير يُنافي حقيقة الغيبة كما سيأتي، فهذا القائل بالمعنى الثاني اعتقد أنه إذا لم نقل بالتمثيل الرسمي للإمام فإنّ ذلك يعني عدم النشاط للإمام وعدم تصديه للإمامة والمسؤولية والاصلاح.

فلكي يحافظ هذا القائل على الدور الفعلي للإمام لا بدَّ من تصدي الإمام مباشرة أو من يمثله، ولما كانت فترة غيبة فليس المتصدي هو الإمام بل من يمثله سواء أكان سفيراً أم نائباً خاصاً ونحوه.

وهذا المعنى التفريطي أيضاً باطل ومنحرف لأن النشاط والدور الفاعل والتصدي للإمام لا يستلزم أيّ بروز وإعلان فلو عدنا لقصة موسى والخضر عليهما السلام وما يقوم به من مسؤوليات، فعندما تفارقا ولم يكن فعل الخضر ظاهراً لأحد فهل هذا يعني أن ليس له أدوار بعد ذلك وأن دوره فقط الذي كشف عنه القرآن وإلّا فقبل التقائه بموسى وبعد فراقهما ليس له أيّ دور وهذا واضح البطلان فإنّ له ولغيره من رجال الغيب أدواراً ومسؤوليات لا يعلم بها إلّا الله والأئمّة عليهم السلام.

ففي رواية عن النبي صلى الله عليه وآله: «**لو صبر النبي موسى مع الخضر أكثر لرأى عجائب عظيمة من الخضر.**»[3] فعدم ظهور وبروز نشاط الإمام عجل الله فرجه وعدم وجود نائب خاص أو سفير لا يعني الجمود وعدم النشاط، وهذا المعنى للأسف ارتكز خطأ عند كثير من الكتابات الإسلاميّة سواء من المذاهب الأخرى أم في وسطنا إذ ارتكز أن النشاط والحيوية والفاعلية والقيام بالمسؤولية تلازم الاعلان والبروز والظهور، وليس كذلك فإنّه كما سيأتي من أن أجندة التنظير في العلوم الاستراتيجية والسياسية والاجتماعية تؤكد على أنه كلما كانت السرية والخفاء أكثر كان النشاط والعمل والدور أكثر حيويةً وقوةً ونفوذاً واختراقاً وتأثيراً وانسيابيةً واندفاعاً وسيولةً وبلا أيّ معوق وممانع والعكس بالعكس، فالنشاط يرتبط بالانجاز في الميدان الخارجي ولا ربط له بالظهور والاعلان، فليس لازم النشاط الكشف والاعلان والاعلام والهرج والمرج والصخب، فالبعض وللأسف عندما يقرأ تاريخ بعض المصلحين من أولاد الأئمّة عليهم السلام كزيد الشهيد أو **يحيى بن زيد** وغيرهم من الثوار يحسبون أن معنى النشاط والعمل والتغيير لا بدَّ أن يكون معلناً ومكشوفاً وإلّا كان جموداً، وهذا من أخطاء الزيدية حيث اعتبروا الإمام هو من يقوم بنهضة إصلاحية معلنة ساخنة في حين أن سيرة أهل البيت عليهم السلام على عدم ضرورة الكشف والاعلان للنهضة والتغيير والقيام بأعباء المسؤولية والاصلاح وهداية المجتمع لئلّا يمنعهم ويعرقلهم العدو عن ذلك.

وأنه بات واضحاً إذا أراد الرواد المصلحون الاصلاح والعمل الاصلاحي فكثيراً ما يكون في الظل والستار والخفاء ليكونوا أكثر نشاطاً وتأثيراً فإنّ الغيبة والتستر من مصاديق التقية ومع ذلك لم تفسر التقية بالجمود والابتعاد وعدم ممارسة المسؤولية.

إذن الغيبة لا تعني عدم الإمامة بمعنى ترك ساحة المسؤولية والأحداث وعدم وجود الإمام، فإنّ الإمامة في الواقع ولاية فعلية وتصدي فعلي لهذه الراية الكبرى من نور الله تعالى ومسؤوليات الإمامة وإلّا صار المعتقد بذلك واقعياً أو مذهباً مناقضاً لأصل الإمامة.

كما أن الغيبة لا تقتضي لابدّية التمثيل والتصدي العلني والبروز لأجل قيام الإمام بمسؤولياته ومهامه وإلّا صار المعتقد بذلك زيدياً أو بابياً أو مدعياً للسفارة والنيابة الخاصة كذباً وزوراً وإنما الغيبة أمرٌ وسطي بين المعنيين فهي معنى بين عدم ظهور الإمام مع حضوره فهو موجود بين الناس لكنه غير معروف عندهم بإنه الإمام فيعبر عنه بإنه غائب، فالغيبة إذن غيبة ظهور الإمام وليست بمعنى عدم حضوره وهي انقطاع ظهور وتمثيل لا انقطاع إمامة أي عدم ظهور الإمامعجل الله فرجه الشريف علناً وعدم ظهور أيّ نشاط له في العلن وعدم بروز أيّ تمثيل رسمي له، فالانقطاع للسفارة وليس انقطاع الإمامة، فإنّ انقطاع النيابة لا يعني انقطاع الإمامة، وعدم انقطاع الإمامة وفعليتها واستمرارها لا يقتضي ولا يوجب ولا يحتم استمرار النيابة والتصدي المعلن وإلّا فمن الخطأ ما فعله البعض من الربط بين انقطاع النيابة وانقطاع الإمامة والبعض من أن فهم بالعكس استمرار الإمامة بمعنى استمرار النيابة، إذ هناك عدة أنواع للتصدي لا تنحصر بالسفارة، كما أن عدم أحد أنواع التصدي لا يعني انقطاع جميع أنواع التصدي.

وإلّا فإنّ الإمامعجل الله فرجه الشريف موجود حاضر متصدي وقائم بمسؤوليات وأعباء خلافته تماماً إذ لهعجل الله فرجه الشريف تمام الفاعلية وتمام النشاط وتمام القيام بأعباء المسؤولية والولاية والإمامة من دون أن يكون له ظهور أو تمثيل أو نيابة.

ففي كثير من روايات أهل البيتعليهم السلام أن الإمام المهديعجل الله فرجه الشريف فيه سُنّة من النبي يوسفعليه السلام حيث كان يتكلم مع الناس ويباشرهم ويديرهم ويدبرهم وهم لا يعلمون أنه النبي يوسفعليه السلام بل وفي كثير من الروايات أن المهديعجل الله فرجه الشريف عند ظهوره يقول الكثير من الناس: هذا الذي كنّا نعهده، فعن **سدير** قال:

سمعت أبا عبد اللهعليه السلام يقول: «إن في القائم شبه من يوسفعليه السلام»، قلت: كأنك تذكر خبره أو غيبته؟ فقال لي: «ما تنكر من ذلك هذه الأمّة أشباه الخنازير، إن إخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء، تاجروا يوسف وبايعوه وهم إخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتّى قال لهم: أنا يوسف فما تنكر هذه الأمّة أنه يكون الله (عزوجل) في وقت من الأوقات يريد أن يستر حجته، لقد كان يوسفعليه السلام إليه ملك مصر، وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد الله (عزوجل) أن يعرفه مكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة مسيرة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأمّة أن يكون الله (عزوجل) يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه، حتّى يأذن الله (عزوجل) أن يعرفهم بنفسه كما أذن ليوسف حتّى قال لهم: «هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ * قالُوا أَ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هذا أَخِي»[4و5]

وهذا يعني أن له حضوراً تاماً في ساحة الحدث والمسؤولية غاية الأمر أنهعجل الله فرجه الشريف غير معروف، فالغيبة تعني عدم علمنا ومعرفتنا بهعجل الله فرجه الشريف وانعدام النيابة والتمثيل لا انعدام وجوده.

وهذه مسألة عقدية مهمّة في أحوال وشؤون الإمامة لا بدَّ من الالتفات إليها وفهمها بشكل صحيح ودقيق، فإنّ الجادة الوسطى هي جادة النجاة فلا إفراط ولا تفريط، وإلّا وقعنا في الزيغ والانحراف وتركنا المذهب الحق مذهب أهل البيتعليهم السلام والعياذ بالله.

الهوامش:

١. جاء في «الكافي» للشيخ الكليني، ج ١٧، ص ٣٧١، باب أنه من عرف إمامه لم يضرّه تقدم هذا الأمر أو تأخر/ ٥، عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن علي بن النعمان عن محمّد بن مروان عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفرعليه السلام يقول: «من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية، ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضرّه، تقدّم هذا الأمر أو تأخر، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه.»

٢. في «صحيح مسلم»، ج ٦، ص ٢٢، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، عن النبيصلى الله عليه وآله يقول: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية.»

٣. في «بحار الأنوار» للعلامة المجلسي، ج ١٣، ص ٣٠١، الباب العاشر قصص موسى وخضر، وفي رواية: «رحم الله موسى عجل على العالم أما أنه لو صبر لرأى منه من العجائب ما لم يرَ.»

٤. سورة يوسف، الآيتان ٨٩ و٩٠.

٥. «كمال الدين وتمام النعمة»، ص ٣٤١، باب ٣٣، ح ٢١.

المصدر: الشيخ محمّد السند، «دعوى السفارة في الغيبة الكبرى»، إعداد وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهديعجل الله فرجه الشريف.

لإمام الزمانعجل الله فرجه الشريف حقوق مختلفة، وجميعها تتطلب مراجعة ودراسة مفصلة، وفي هذا المجال، سنذكر بعضا من أهمها:

أ) المعرفة

تحتل «معرفة الإمام» مكانة وأهمية خاصة في التعاليم الإسلامية، وقد تم التأكيد عليها كثيرا في كلام نبي الإسلامصلى الله عليه وآله والأئمة المعصومينعليهم السلام وقد تم التأكيد عليها كثيرا لدرجة أن الكثير من الأحاديث اعتبرت الجهل بإمام الزمان وعدم معرفته مساويا للموت ميتة جاهلية (على الكفر والشرك).[1]

في الرواية التي نقلها سدير عن الإمام الباقرعليه السلام، ذكر صراحة ضرورة معرفة الأئمة كحق من حقوقهم الثابتة:

«إنّما كلّف النّاس ثلاثة: معرفة الأئمّة، والتّسليم لهم فيما ورد عليهم، والرّدّ إليهم فيما اختلفوا فيه.»[2]

قبل ذلك تحدثنا بالتفصيل عن معنى ومفهوم وضرورة معرفة إمام الزمانعجل الله فرجه الشريف وطرق الحصول عليها، لذلك نمتنع عن مزيد من التفصيل في هذا المجال.

ب) المحبة

في مقابل الجهود الكثيرة التي بذلها في إرشاد الناس، طلب الرسول الكريمصلى الله عليه وآله من الناس شيئا واحدا وهو محبة أهل بيته. يقول تعالى في القرآن الكريم في هذا الصدد:

«قل لا أسئلكم عليه أجرا إلّا المودّة في القربى»[3]

في إحدى خطبه وبعد دعوة الناس لمحبة أهل البيتعليهم السلام كحق إلهي، يستند الإمام عليعليه السلام إلى هذه الآية الكريمة فيقول:

«عليكم بحبّ آل نبيّكم فإنّه حقّ الله عليكم و الموجب على الله حقّكم ألا ترون إلى قول الله: «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى»[4]

وقال الإمام الباقرعليه السلام أيضا ردا على شخص سأله عن تفسير هذه الآية:

«... هي و الله فريضةٌ من الله على العباد لمحمّدصلى الله عليه وآله في أهل بيته.»[5]

وهناك أحاديث أخرى في هذا السياق، لكننا سنقتصر على هذا المقدار من باب الإيجاز.[6]

ج) قبول الولاية

وبحسب الروايات، لم يتم التأكيد في الشريعة الأسئلة التي الإسلامية على قضية بقدر ما تم التأكيد على مسألة الولاية،[٧] ولهذا يمكن القول إن قبول ولاية الأئمة المعصومين عليهم السلام، أحد أهم حقوقهم.

وجاء في رواية نقلت عن نبي الإسلام الكريم صلى الله عليه وآله في هذا الشأن:

«من أحبّ أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنّة الّتي وعدني ربّي فليتولّ عليّ بن أبي طالب وورثته الطّاهرين، أئمّة الهدى ومصابيح الدّجى من بعدي، فإنّهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضّلالة.»[٨]

ويقول الإمام علي عليه السلام في هذا الصدد: **«لنا على النّاس حقّ الطّاعة والولاية، ولهم من الله سبحانه حسن الجزاء.»**[٩]

د) التمسك

ومما لا شك فيه أنه في زوبعة أحداث العصر وعندما تنشأ عواصف شديدة، فلا يمكن للمرء النجاة إلا من خلال التمسك بالأيدي الراسخة لتجنب الوقوع في وادي الضلال ومعرفة طريق الإرشاد والخلاص.

يشير القرآن الكريم إلى هذه الأيدي الراسخة أحيانا بعبارة العروة الوثقى[١٠] وأحيانا بعبارة حبل الله.[١١]

وهذه العروة الوثقى بحسب الروايات هي أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، ولهذا السبب، يجب على كل المؤمنين أن يتمسكوا بهم فقط.

ويعتبر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين الشهير أن التمسّك بكتاب الله وأهل البيت عليهم السلام هو الطريقة الوحيدة لتجنب الضلال فيقول: **«إنّي تارك فيكم الثّقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا كتاب الله و عترتي أهل بيتي و إنّهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض.»**[١٢]

واعتبر الإمام علي عليه السلام، نقلا عن رسول الإسلام صلى الله عليه وآله، نفسه وأولاده مصادق «العروة الوثقى» وقال: **«قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يا عليّ... أنتم حجّة الله على خلقه و العروة الوثقى من تمسّك بها اهتدى و من تركها ضلّ... .»**[١٣]

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في هذا الشأن: **«كذب من زعم أنّه يعرفنا و هو متمسّكٌ بعروة غيرنا.»**[١٤]

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين يعتقدون: إن الأحاديث التي تشير إلى وجوب التمسك بأهل أهل البيت عليهم السلام متواترة للغاية.[١٥]

هـ) محبة الأصدقاء ومعاداة الأعداء

يمكننا أن ندعي محبة أهل البيت عليهم السلام عندما نحب أحباءهم ونعادي أعداءهم. لذلك تنص الروايات على أن محبة أحباء أهل البيت ومعاداة أعدائهم هي من حقوق الأئمة المعصومين عليهم السلام، وتم التأكيد عليها كثيرا.

يقول رسول الإسلام الكريم عليه السلام في هذا الصدد:

«من أحبّ أن يركب سفينة النّجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين، فليوال عليّا بعدي، وليعاد عدوّه، وليأتمّ بالأئمّة الهداة من ولده، فإنّهم خلفائي وأوصيائي، وحجج الله على الخلق بعدي، وسادة امّتي، وقادة الأتقياء إلى الجنّة، حزبهم حزبي وحزبي حزب الله، وحزب أعدائهم حزب الشّيطان.»[١٦]

كما أكد الإمام علي عليه السلام على ضرورة محبة أهل البيت، ومعاداة أعدائهم معتبرا ذلك علامة على المحبة الحقيقية تجاه هذه الأسرة:

«من سرّه أن يعلم أمحبٌّ لنا أم مبغضٌ فليمتحن قلبه، فإن كان يحبّ وليّا لنا فليس بمبغض لنا، وإن كان يبغض وليّنا فليس بمحبّ لنا، إنّ الله تعالى أخذ الميثاق لمحبّنا بمودّتنا، وكتب في الذّكر اسم مبغضنا، نحن النّجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء.»[١٧]

و) الأولوية

نظرا لما أعطاه الله تعالى لأهل البيت عليهم السلام من صفات وخصائص فريدة، فإنهم يستحقون أن يحظوا بالأولوية على الجميع في جميع المجالات ولا ينبغي تفضيل أحد عليهم. ويعتبر هذا الموضوع من حقوق الأئمة المعصومين عليهم السلام، وقد جاء في الروايات على النحو التالي:

«إنّ الله تعالى جعل ذرّيّة كلّ نبيّ من صلبه وجعل ذرّيّتي من صلب عليّ بن أبي طالب عليه السلام... فقدّموهم ولا تقدّموا عليهم، فإنّهم أحلمكم صغارا وأعلمكم كبارا، فاتّبعوهم فإنّهم لا يدخلونكم في ضلال ولا يخرجونكم من هدى.»[١٨]

وكما يظهر، فإن نبي الإسلام الكريم صلى الله عليه وآله، بعد أن أمر بتقديم أهل البيت عليهم السلام، أشار إلى أن تفوق هذه الأسرة على الآخرين في الطفولة والبلوغ هو في صفتين: الحلم والعلم، والعصمة؛ وهم لا يضللون الآخرين أبدا ولا يقودنهم بعيدا عن الطريق الصحيح.

وعلى هذا النحو نصت الصلوات الشعبانية المنقولة عن الإمام الصادق عليه السلام على مايلي:

«اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، الفلك الجارية في اللّجج الغامرة، يأمن من ركبها، ويغرق من تركها، المتقدّم لهم مارقٌ، والمتأخّر عنهم زاهقٌ، واللّازم لهم لاحقٌ.»[١٩]

ز) الاقتداء

وقد توصل الأئمة المعصومون إلى مكانة جعلتهم روادا في العلم والتقوى والشجاعة والسياسة والكرم والكرامة وغيرها من الصفات الأخلاقية الحميدة، ولهذا السبب يجب على الناس أن يقتدوا بهم ويتبعوهم في كل الأمور. يقول رسول الإسلام الكريم عليه السلام في هذا الصدد:

«من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّا من بعدي وليوال وليّه، وليقتد بالأئمّة من بعدي، فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي، رزقوا فهما وعلما، وويلٌ للمكذّبين بفضلهم من امّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي.»[٢٠]

كما تحدث الإمام علي عليه السلام كثيرا عن ضرورة الاقتداء بطريق أهل البيت عليهم السلام واتباعهم دون قيد أو شرط. قال في إحدى كلماته:

«انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم و اتّبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى و لن يعيدوكم في ردى فإن لبدوا فالبدوا و إن نهضوا فانهضوا و لا تسبقوهم فتضلّوا و لا تتأخّروا عنهم فتهلكوا.»[٢١]

ح) المساعدة

الحق الآخر من حقوق آل بيت النبي عليهم السلام هو الحق في نصرتهم ومساعدتهم. في هذا السياق، تم تقديم العديد من الروايات في هذا الصدد لدرجة أن بعض المصادر الشيعية خصصت بابا لهذا الموضوع.

وفي إحدى هذه الروايات التي نقلها الإمام السجاد عليه السلام عن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، فإن أسمى درجات الجنة لأولئك الذين يحبون أهل البيت عليهم السلام من قلوبهم ويساعدونهم بأيديهم وألسنتهم، وأدنى مستوى (جهنم) مخصص للذين يعادونهم ويعملون ضدهم بأيديهم وألسنتهم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«في الجنّة ثلاث درجات و في النّار ثلاث دركات فأعلى درجات الجنّة لمن أحبّنا بقلبه و نصرنا بلسانه و يده و في الدّرجة الثّانية من أحبّنا بقلبه و نصرنا بلسانه و في الدّرجة الثّالثة من أحبّنا بقلبه و في أسفل الدّرك من النّار من أبغضنا بقلبه و أعان علينا بلسانه و يده و في الدّرك الثّانية من النّار من أبغضنا بقلبه و أعان علينا بلسانه و في الدّرك الثّالثة من النّار من أبغضنا بقلبه.»[٢٢]

ومن هذه الرواية نستنتج أن مساعدة أهل البيت عليهم السلام لها مستويات تشمل المساعدة اللسانية والمساعدة العملية، والذروة تكمن في مساعدتهم في الحروب.

ط) التكريم

لطالما شدد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله على ضرورة تكريم أهل بيته، وحذر أمته من مضايقتهم. ولهذا يمكن القول إن من الحقوق الإسلامية الثابتة للأئمة المعصومين عليهم السلام تكريمهم والاعتزاز بهم وعدم أذيتهم.

وجاء في رواية عن علي عليه السلام في هذا الشأن:

«صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فخطب واجتمع النّاس إليه فقال: ... أيّها النّاس! ... إنّكم مجموعون ومساءلون عن الثّقلين، فانظروا كيف تخلفونيّ فيهما. إنّهم أهل بيتي، فمن آذاهم آذاني، ومن ظلمهم ظلمني، ومن أذلّهم أذلّني، ومن أعزّهم أعزّني، ومن أكرمهم أكرمني، ومن نصرهم نصرني، ومن خذلهم خذلني.»[٢٣]

ي) الإحسان (النصيحة)

«النصيحة لائمة المسلمين» تعبير عميق الجذور وعريق يمكن رؤيته في العديد من الروايات. ومصدر هذا العنوان هو النبي الله عليه وآله صلى الله عليه وآله الذي ذكره في حجة الوداع في خطاب بمسجد خيف، وجاء بعد ذلك في أقوال الأئمة عليهم السلام وتم التأكيد عليه كإحدى مسؤوليات الأمة الإسلامية.

خصص علماء الشيعة المجتهدون فصولا لهذا العنوان في كتب الرواية.[٢٤] بالإضافة إلى أن هذه الروايات موجودة في كتب أخرى.[٢٥] فيمايلي بعض الأحاديث الواردة في هذا السياق:

يعبر الإمام محمّد الباقر عليه السلام، نقلا عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، عن فضل الإحسان للأئمة على النحو التالي:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما نظر الله عزّ و جلّ إلى وليّ له يجهد نفسه بالطّاعة لإمامه و النّصيحة إلّا كان معنا في الرّفيق الأعلى.»[٢٦ و٢٧]

في رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن نبي الإسلام الكريم صلى الله عليه وآله، يعتبر الإحسان لآل بيت النبي عليهم السلام من الأعمال التي تؤدي إلى اكتمال حقيقة الإيمان وفتح أبواب الجنة للإنسان:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أسبغ وضوءه و أحسن صلاته و أدّى زكاته و كفّ غضبه و سجن لسانه و استغفر لذنبه و أدّى النّصيحة لأهل بيت نبيّه فقد استكمل حقائق الإيمان و أبواب الجنّة مفتّحةٌ له.»[٢٨]

ك) دفع الحقوق المالية

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم حقوقا مالية معينة للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وأقاربه، وهو ما يفسر في المصطلح على أنه «الخمس»:

«وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ»[٢٩]

ونقل في تفسير هذه الآية العديد من روايات للأئمة المعصومين عليهم السلام ويذكر جميعها أن الخمس هو من الحقوق المالية لأهل البيت عليهم السلام.

من بين هذه الروايات، يمكننا الإشارة إلى مايلي:

يروي **ابن الديلمي** أن عليا بن الحسين عليه السلام قال لرجل من أهل الشام»: **«أما قرأت في الأنفال: «وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ...»؟ قال: نعم، قال: «فإنكم لأنتم هم؟» قال: نعم.**[30]

يقول الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة:

«هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله، والخمس لله وللرّسول ولنا.»[31]

وحذر إمام العصر عجل الله فرجه الشريف في أحد توقيعاته الناس من عدم الوفاء بالحقوق المالية لأهل أهل البيت عليهم السلام، وقال: **«و من أكل من أموالنا شيئا فإنّما يأكل في بطنه نارا و سيصلى سعيرا.»**[32]

كما يقول عجل الله فرجه الشريف عن فلسفة دفع الخمس:

«و أمّا أموالكم فما نقبلها إلّا لنطهّروا فمن شاء فليصل و من شاء فليقطع فما آتانا الله خيرٌ ممّا آتاكم.»[33]

ل) تقديم الأموال

كما ذكرنا في بداية هذا الموضوع، فإن كل النعم المادية والروحية وكل النعم الدنيوية والأخروية التي نتمتع بها تعود إلى وجود أهل بيت العصمة والطهارة، وهذا هو السبب في أنه من المناسب أن نعرب عن امتناننا لهم بكل طريقة ممكنة ونعبر عن حبنا ومودتنا لهم بأي شكل. على الرغم من أنهم مستغنون تماما عن الامتنان والحب والمودة.

ومن هذه الطرق تقديم الأموال لهم، وهو ما يعبر عنه في المصطلح على أنه «الصلة».

وجاء في رواية نقلت عن الإمام الصادق عليه السلام في هذا الشأن: **«لا تدعوا صلة آل محمّد: من أموالكم، من كان غنيّا فبقدر غناه، ومن كان فقيرا فبقدر فقره، فمن أراد أن يقضي الله له أهمّ الحوائج إليه، فليصل آل محمّد وشيعتهم بأحوج ما يكون إليه من ماله.»**[34]

كما يتبين من الرواية المذكورة، فإن معنى الصلة ليس تقديم المال مباشرة لأهل البيت، وإنما يعني أن نستخدم أموالنا بالطريقة التي يحبونها، لا سيما في طريقة مساعدة الشيعة العاجزين من أيتام آل محمّد.

م) الدعاء

الحق الآخر من حقوق الأئمة المعصومين عليهم السلام هو الدعاء لهم والصلاة والسلام عليهم. هناك العديد من الروايات في هذا المجال، لكننا سنقتصر على روايتين هنا.

روي عن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله أنه قال: **«من صلّى صلاة لم يصلّ فيها عليّ ولا على أهل بيتي لم تقبل منه.»**[35]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في هذا الصدد:

«سمع أبي رجلا معلّقا بالبيت وهو يقول: اللهمّ صلّ على محمّد، فقال له أبي: يا عبد الله، لا تبترها، لا تظلمنا حقّنا، قل: اللهمّ صلّ على محمّد وأهل بيته.»[36]

ن) التذكر

بما أن تذكر أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، والتعبير عن فضائلهم وصفاتهم يؤدي إلى إحياء مدرسة أهل البيت عليهم السلام وتجعل قلوبنا صافية، فقد أوصي كثيرا بهذا الموضوع في الروايات. وفي إحدى هذه الروايات يخاطب الإمام الصادق عليه السلام **داود بن سرحان** قائلا: **«يا داود، أبلغ مواليّ عنّي السّلام، وأنّي أقول: رحم الله عبدا اجتمع مع آخر فتذاكرا أمرنا، فإنّ ثالثهما ملكٌ يستغفر لهما. وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلّا باهى الله تعالى بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذّكر، فإنّ في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياءنا. وخير النّاس من بعدنا من ذاكر بأمرنا ودعا إلى ذكرنا.»**[37]

وفي بعض الأحاديث يمكن القول إن معنى تذكر أهل البيت هو القول، والاستماع، والكتابة، والقراءة في فضائل هذه الأسرة، مع الإيمان القلبي بهم وإبقاء ذكراهم حية.

إن ما قيل حتى الآن كان حول حقوق أهل البيت عليهم السلام بشكل عام وإمام الزمان بشكل خاص. وللإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف حقوق أخرى، كالدعاء لسلامته، وانتظار ظهوره، والدعوة للتعجيل بالفرج، وقد سبق أن ناقشناها بالتفصيل، لذلك لن نذكرها هنا.[38]

وفي النهاية نتمنى أن يوفقنا الله كل التوفيق في الوفاء الكامل بحقوق أهل البيت عليهم السلام بشكل عام وإمام العصر بشكل خاص، ويفيض علينا من نعمة وجودهم في الدنيا والآخرة.

الهوامش:

١. «الكافي»، ج ١، ص ٣٧٦، ح ٢ و ص ٣٧٧، ح ٣ و ج ٢، ص ٢١، ح ٩.

٢. «الكافي»، ج ١، ص ٣٩٠، ح١؛ أبو جعفر محمّد بن حسن صفار القمي، «بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد عليهم السلام»، ط ١، قم، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤٠٤هـ.، ص ٥٢٣، ح ٢٠؛ «بحار الأنوار»، ج ٢، ص ٢٠٢، ح ٧٤.

٣. سورة الشورى، الآية ٢٣.

٤. علي بن محمّد الليثي الواسطي، «عيون الحكم والمواعظ»، ط ١، قم، دار الحديث، ١٩٩٧م.، ص ٣٤٢؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، صص ٥٥٤-٥٥٥، ح ٨١٢.

٥. أحمد بن محمّد بن خالد البرقي، «المحاسن»، ط ٢، قم، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧١هـ، ج ١، ص ٢٤٤؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، ص ٥٥٦، ح ٨١٩.

٦. انظر: «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، صص ٥٥١-٥٥٩.

٧. انظر: «الكافي»، ج ٢، ص ١٨، ح ٣.

٨. محمّد بن علي بن الحسين (الشيخ الصدوق)، «الأمالي»، ط ٥، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٠هـ.، ص ٨٨، ح ٦٠؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، ص ٥٦٧، ح ٨٤٩.

٩. عبدالواحد الآمدي التميمي، «غرر الحكم ودرر الكلم»، تحقيق: مير سيد جلال الدين المحدث الأرموي، ط ٢، طهران، جامعة طهران، ١٣٦٠هـ.ش.، ج ٥، ص ١٢٩، ح ٧٦٢٨؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، ص ٥٦٨، ح ٨٥٦.

١٠. انظر: سورة البقرة، الآية ٢٥٦ و سورة لقمان، الآية ٢٢.

١١. انظر: سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

١٢. «تفصيل وسائل الشيعة إلى مسائل الشريعة»، ج ٢٧، صص ٣٣-٣٤، ح ٩؛ «كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال»، ج ١، ص ١٧٣، ح ٨٧٣.

١٣. محمّد بن محمّد بن النعمان (الشيخ المفيد)، «الأمالي»، ط ٢، قم، مكتب المطبوعات الإسلامية التابع لمجتمع معلمي حوزة قم العلمية، ١٤٠٤هـ.، ص ١١٠، ح ٩؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، ص ٥٦١، ح ٨٣٤.

١٤. محمّد بن علي بن حسين (الشيخ الصدوق)، «معاني الأخبار»، ط ١، قم، مكتب المطبوعات الإسلامية التابع لمجتمع مدرسي الحوزة العلمية في قم، ١٣٦١هـ. ش.، ص ٣٩٩، ح ٥٧؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، ص ٥٦٥، ح ٨٤٥.

١٥. انظر: «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، ص ٥٦٥.

١٦. «عيون أخبار الرضا عليه السلام»، ج ١ ص ٢٩٢ ح ٤٣؛ «بحار الأنوار»، ج ٢٣، ص ١٤٤، ح ١٠٠؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، ص ٥٦١، ح ٨٣٢.

١٧. «الأمالي» (الشيخ الطوسي)، ص ١١٣، ح ١٧٢؛ «الأمالي» (الشيخ المفيد)، ص ٣٣٤، ح ٤؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، صص ٦٣٦-٦٣٩، ح ٩٩٠.

١٨. «بحار الأنوار»، ج ٢٣، ص ١٤٤، ح ٩٨؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، ص ٥٧٥، ح ٨٦٩.

١٩. «المزار الكبير»، ص ٤٠٠، ح١؛ «بحار الأنوار»، ج ٨٧، ص ٢٠؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ١، صص ١٢٢-١٢٥، ح ١١٧.

٢٠. «الأمالي» (الشيخ الصدوق)، ص ٨٨، ح ٦٠؛ «بحار الأنوار»، ج ٢٣، ص ١٣٩، ح ٨٥؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، ص ٥٧٧، ح ٨٧٤.

٢١. «نهج البلاغة»، ترجمة: محمّدمهدي فولادوند، الخطبة ٩٦، ص ١٢١؛ «نهج البلاغة»، تحقيق: صبحي صالح، الخطبة ٩٧، ص ١٤٣.

٢٢. «المحاسن»، ج ١، ص ٢٥١، ح ٤٧٢؛ «بحار الانوار»، ج ٢٧، ص ٩٣، ح ٥٣؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، صص ٦٧٠-٦٧١، ح ١٠٥٦ و صص ٧٠٨-٧٠٩، ح ١١٢١.

٢٣. «الأمالي» (الشيخ الصدوق)، ص ١٢١، ح ١١٢؛ «بحار الأنوار»، ج ٣٨، ص ٩٤، ح١٠؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، ص ٥٨٣، ح ٨٨٥.

٢٤. انظر: «الكافي»، ج ١، باب ما أمر النبي ص بالنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، ومن هم، صص ٤٠٣-٤٠٥؛ «الوافي»، ج ٢، باب وجوب النصيحة لهم واللزوم لجماعتهم، صص ٩٨-١٠٣؛ «بحار الانوار»، ج ٢٧، باب ما أمر به النبي ص من النصيحة لأئمة المسلمين واللزوم لجماعتهم، صص ٦٧-٧٣.

٢٥. انظر: محمّد سروش محلاتي، «نصيحة أئمة المسلمين»، مجلة الحكومة الإسلامية، العدد ١، خريف ١٩٩٦م.، ص ١٣٦.

٢٦. درجة من الجنة.

٢٧. «الكافي»، ج ١، ص ٤٠٤، ح ٤؛ محمّد محمّدي ريشهري، «حكمة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله»، ط ٢، قم، مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية، مؤسسة الطباعة والنشر، ٢٠٠٨م.، ج ٤، ص ٥١٣.

٢٨. «المحاسن»، ج ١، ص ١١، ح ٣٢.

٢٩. سورة الأنفال، الآية ٤١.

٣٠. «بحار الأنوار»، ج ٩٦، ص ٢٠٣، ح ٢١؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، ص ٥٨٥، ح ٨٩١.

٣١. «الكافي»، ج ١، ص ٥٣٩، ح ٤٢؛ «بحار الأنوار»، ج ٩٦، ص ٢٠١، ح ١٥؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، ص ٥٨٥، ح ٨٩٣.

٣٢. «بحار الأنوار»، ج ٥٣، ص ١٨٣، ح ١١.

٣٣. المصدر نفسه، ص ١٨٠، ح ١٠.

٣٤. «بحار الأنوار»، ج ٩٦، ص ٢١٦، ح ٤؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، ص ٥٨٧، ح ٨٩٨.

٣٥. «بحار الأنوار»، ج ٨٥، ص ٢٧٩؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، ص ٥٨٩، ح ٩٠٤.

٣٦. «الكافي»، ج ٢، ص ٤٩٥، ح ٢١؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، ص ٥٨٩، ح ٩٠٣.

٣٧. أبو جعفرمحمّد بن حسن (الشيخ الطوسي)، «الأمالي»، تحقيق: مؤسسة البعثة، ط ١، قم، دار الثقافة، ١٤١٣هـ.، ص ٢٢٤، ح ٣٩٠؛ «بحار الأنوار»، ج ١، ص ٢٠٠، ح ٤٨؛ «أهل البيت عليهم السلام في القرآن والحديث»، ج ٢، صص ٥٩٠-٥٩١، ح ٩١٠.

٣٨. لمزيد من المعلومات في هذا المجال، انظر: إبراهيم شفيعي سروستاني، «حقوق أهل البيت عليهم السلام في القرآن والروايات»، ط ١، طهران وقم، موعود عصر عجل الله فرجه الشريف ودار الحديث، ٢٠٢١م.

تاريخ الأنبياء والأوصياء الإلهيين؛ تاريخ المواجهة والتقاتل بين قبيلة الرحمة وقبيلة اللعنة

إسماعيل شفيعي سروستاني

وكرّس **إبليس اللعين**، جل اهتمامه لإرجاء يوم الوقت المعلوم؛ اليوم الذي يفضي إلى الموت الموعود، ومن جهة أخرى، إغواء أبناء آدم لكي لا ينالوا الفلاح وأن يهلكوا في مستنقع الإثم والضلال والعصيان. وبعد أن طُرد من القرب الإلهي أقسم إبليس أن:

«فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ»[1]

ومنذ ذلك اليوم، دخلت نصرة خليفة الله في تكليف الصلحاء من أبناء آدم والتولي إليهم والتبري من أعدائهم...

وقد ورد في الكثير من زيارات المعصومين عليهم السلام:

«وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ وَ مَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَ...»[2]

بحيث أن المؤمنين الصلحاء يخاطبون حضرة ولي الله في «زيارة آل ياسين» و «زيارة الأربعين»:

«وَ نُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّة»[3]

«وَقَلْبِي لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ، وَ أَمْرِي لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِع وَ نُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ لَكُم»[4]

ولا يخفى أن حكمة جعل خليفة الله حسب دسائس ومكائد **إبليس** وجنوده وأن ما يجب أن يُبتلى ويُختبر به أبناء آدم، بقي في التقدير ولم يجد مجالا للتحقق في العالم الخارج وتأسيس الدولة الإلهية على الأرض؛ لكن لا إبليس تخلى عما كان قد أقسم به ولا التكليف سقط عن الانسان.

وفي كل عصر، وبين كل جيل، فان المؤمنين كلفوا بنصرة الأنبياء والأوصياء الإلهيين والانتظار لحلول آخر فصل من الحياة على الأرض، أي آخر الزمان وظهور المنقذ الموعود وتأسيس دولته الكريمة.

إن العهد الذي أخذ من جميع الأنبياء والرسل للنصرة، هو ذلك العهد والميثاق الذي أخذ من الانسان في عالم الذرّ لنصرة خليفة الله.

وقال الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

«وإذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم يعني رسول الله صلى الله عليه وآله لتؤمنن به ولتنصرنه يعني أمير المؤمنين عليه السلام تخبروا انكم بخبره وخبر وليه من الأئمة.»[5]

وتتحق نصرة الأنبياء والأوصياء هذه، تماما أثناء ظهور وتأسيس الدولة الكريمة لإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

إن تكليف الأنبياء والرسل، وحسب رسالتهم ونبوتهم، تمثل في الذهاب نحو الناس؛ أما تكليف الإمام فلم يكن الذهاب

نحو الناس؛ لذلك قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

«مثل الإمام مثل الكعبة إذ تؤتى و لا تأتي...»[6]

وقال صلى الله عليه وآله:

«أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي فإن أتاك هؤلاء القوم فسلموها إليك يعني الخلافة ، فأقبل منهم وإن لم يأتوك فلا تأتهم حتى يأتوك.»[7]

إن البحث عن الإمام ومعرفة الإمام ونصرة الإمام، كان تكليفا ألقي على عاتق جميع الناس بصفة عامة والمسلمين والمؤمنين بصفة خاصة، وكان يتعين عليهم بالضرورة حمايته.

الهوامش:

١. سورة ص، الآيتان ٨٢-٨٣.

٢. ابن المشهدي، «المزار الكبير»، قم، المكتب الاسلامي للنشر التابع لرابطة مدرّسي الحوزة العلمية بقم، ص ٥٢٨، الزيارة الجامعة لأهل البيت عليهم السلام.

٣. القمي، عبّاس، «مفاتيح الجنان»، زيارة الأربعين.

٤. المصدر السابق.

٥. الحلّي، حسن بن سليمان بن محمّد، «مختصر البصائر»، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ .ق.، ص ١٣١.

٦. خزّاز الرازي، علي بن محمّد، «كفاية الأثر في النص على الائمّة الاثنى عشر عليهم السلام»، قم، ١٤٠١هـ .ق.، ص ١٩٩.

٧. المصدر السابق.

المصدر: شفيعي سروستاني، إسماعيل، «السير الاستكمالي للإنسان مع الإنسان الكامل»، طهران، موعود العصر، الطبعة الأولى، ٢٠٢٤م.

لماذا الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لا يساعد المظلومين؟

د.مسعود دريس

أن الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يقول: «**انّا غير مهملين لمراعاتكم و لا ناسين لذكركم و لو لا ذلک لنزل بكم البلاء و احطمكم الاعداء.**» فما كل هذه المشاكل التي تحدث للشيعة؟ ولماذا الامام لا يساعد الفقراء والمحتاجين؟!

أولاً، من الجيد أن نعرف أن أصل هذه الجمل كتبت للشيخ المفيد. وفي بداية الرسالة نقرأ:

«للأخ السديد، والولي الرشيد، الشيخ المفيد أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان أدام الله إعزازه من مستودع العهد المأخوذ على العباد.

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، سلام عليك أيها المولى المخلص في الدين المخصوص فينا باليقين، فانا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا نبينا محمّد وآله الطاهرين ونعلمك أدام الله توفيقك لنصرة الحق وأجزل مثوبتك على نطقك عنا بالصدق، أنه قد اذن لنا في تشريفك بالمكاتبة وتكليفك ما تؤديه عنا إلى موالينا قبلك، أعزهم الله بطاعته، وكفاهم المهم برعايته لهم وحراسته... .»

ثم خاطب الشيعة المؤمنين فقال:

«إن علمنا قد أحاط بأخباركم، ولا يخفى علينا من أخباركم شيء.»

حتى يصل إلى الجملة المعنية التي يكتبها:

«انا غير مهملين لمراعاتكم و لا ناسين لذكركم و لو لا ذلک لنزل بكم البلاء و احطمكم الاعداء.»[1]

وإذا دققت النظر تجد أدناه الحديث:

إن البلاء الذي كان سببا في هلاك الشيعة سيزول بفضل ذلك الامام ورعايته. لا يعني ذلك أن المصاعب والمتاعب في العالم مثل الحرب والسجون والفيضانات والزلازل وما إلى ذلك لا تؤثر على أي شخص. لأن هذة سنة إلهية، والمصائب هي سبب تدريب الإنسان وتقويته ونموه.

وينبغي أن يقال في وقت من الأوقات، كان الشيعة أقلية، ولكن بفضل الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قوتهم تتزايد يوما بعد يوم. ورغم أن كل القوى تحاول تدمير الشيعة بطريقة أو بأخرى، إلا أن الشرط الأهم لهذه الرعاية واستمرارها هو التدين، الذي يجب أن نحاول ألا نقع في حضن الإثم والفساد... فمعنى الحديث هو ليست هذه مشاكل شخصية وليس لدينا امتحانات قادمة.

وبالإضافة إلى ذلك فإن منهج الإمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف (كغيره من أئمة الاطهار عليهم السلام) لا يسري بشكل أن يأتي المظلومون أو الفقراء أو المرضى بشكل مباشر إليه ويطلبون منه حل المشكلة، كما كان الحال في زمن باقي الائمة. ورغم ذلك كان الأئمة يشجعونهم على المحاولة الجادّة أو الصبر في مواجهة الصعوبات. إلا أن هؤلاء الوجهاء، وخاصة الإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، ساعدوا المحتاجين واخذوا بايديهم في كثير من الأحيان، أو عبروا عن طيبتهم تجاه المشتاقين والمستحقين، ونحو ذلك.

الهامش:

١. «بحار الانوار»، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٠٣هـ.، ج ٥٣، ص ١٧٥، ح ٤٧ «الاحتجاج»، الطبرسي، ص ٤٩٧.

و يدلّ على فضل ذلك و استحبابه ما رواه ثقة الإسلام **محمّد بن يعقوب الكليني** في «الكافي»: عن **عليّ بن المغيرة**، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له:

إنّ أبي سأل جدّك عن ختم «القرآن» في كلّ ليلة، فقال له جدّك: في كلّ ليلة؟ فقال له: في شهر رمضان، فقال له جدّك: في شهر رمضان؟ فقال له أبي: نعم، ما استطعت. فكان أبي يختمه أربعين ختمة في شهر رمضان. ثمّ ختمته بعد أبي، فربّما زدت، و ربّما نقصت على قدر فراغي و شغلي، و نشاطي و كسلي، فإذا كان في يوم الفطر جعلت لرسول الله صلى الله عليه و آله ختمة، و لعليّ عليه السلام اخرى، و لفاطمة عليها السلام اخرى، ثمّ للأئمّة عليهم السلام، حتّى انتهيت إليك، فصيّرت لك واحدة منذ صرت في هذا الحال، فأيّ شيء لي بذلك. قال عليه السلام: «لك بذلك أن تكون معهم يوم القيامة.» قلت: الله أكبر، فلي بذلك؟! قال: «نعم، ثلاث مرّات.»[1]

وجه الإستدلال

أنّ الظاهر من كلام الإمام عليه السلام ترتّب الثواب على ذلك العمل لكونه إهداء إلى النبيّ صلى الله عليه و آله و الإمام و تقرّبا إليهم عليهم السلام و لا خصوصيّة للمذكورين منهم، بل الظاهر من كلام الراوي أنّه جعل ختمة لأبي الحسن عليه السلام لكونه إمام زمانه، و لهذا قال: «منذ صرت في هذا الحال...» و قرّره الإمام على فعله و استحسنه.

و الحاصل من ملاحظة الحديث، و التأمّل فيه، إستحباب إهداء قراءة القرآن مطلقا إلى النبيّ، و الصدّيقة، و كلّ واحد من الأئمّة عليهم السلام.

و يؤيّده إهداء الصلاة إليهم كما سبق آنفا، و له شواهد اخرى تظهر للمتتبّع في رواياتهم، نسأل الله عزّ و جلّ أن يوفّقنا و جميع المؤمنين لذلك، إن شاء الله بمحمّد و آله الطاهرين.

الهامش:

١. «الكافي»، ج ٢، ص ٦١٨، ح ٤٤ عنه «الوسائل»، ج ٤، ص ٨٦٤، ح ١.

المصدر: الاصفهاني، محمّد تقى، «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عجل الله تعالى فرجه الشريف»، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ج ٢، صص ٣٠٦-٣٠٧.

محمّد إسماعيل

ولد **محمّد إسماعيل** في «باكستان»، ونشأ في أسرة تنتمي إلى المذهب الحنفي، كما كانت لهم ميول نحو التصوّف.

وكان محمّد إسماعيل محبّاً للعلم والمعرفة منذ صغره، وهذا ما دفعه لتلقّي العلم حتّى غدى في كبره خطيباً ومبلّغاً ومدرّساً وواعظاً.

يقول محمّد إسماعيل: **كان في جوارنا رجل من الشيعة كثير المناظرة والبحث، فقصدته يوماً لأناظره في الصعيد العقائدي، فوجدته عالماً عارفاً بكتب أهل السنّة، ولا يتكلّم اعتباطاً، ويدعم دائماً أقواله بالمصادر السنيّة الموثوقة.**

أدب الحوار

استحرّت المناظرة بين محمّد إسماعيل وذلك الرجل الشيعي لفترة مديدة، خاض فيها العديد من المباحث، منها القضاء والقدر، ومسألة فدك، وموضوع الإمامة والخلافة، ومسألة المسح على الرجلين في الوضوء، وكان محمّد إسماعيل يشعر في كلّ مرّة أنّ الأدلّة والبراهين التي يقدّمها له ذلك الرجل الشيعي أقوى من أدلّته وبراهينه، ولكنّه مع ذلك لم يشعر أبداً بالهزيمة أو الانكسار؛ لأن المنهج الذي اتّبعه معه ذلك الرجل الشيعي منهج موضوعي مبتن على الحوار العلمي والبنّاء، وكان ذلك الرجل الشيعي يقول له دائماً: **أنا وأنت عندما نتحاور فإنّنا في الواقع في ساحة حرب، ولكن في هذه الساحة أنا وأنت لسنا في مواجهة الآخر، ولا يكون نهاية كلّ حوار أحدنا المنتصر والآخر هو المهزوم، بل نحن في هذا الحوار جنباً إلى جنب وعدونا العقيدة الباطلة، وأنا وأنت في جبهة واحدة، يساعد أحدنا الآخر لمعرفة الحقيقة الضائعة، ويجب أن يساعد أحدنا الآخر لمعرفة هذه الحقيقة.**

ومن هذا المنطلق لم يشعر محمّد إسماعيل خلال حواره مع ذلك الرجل الشيعي أنّه يواجه خصماً وعدواً يحاول الإطاحة بعقيدته بل وجده ناصراً ومعيناً يساعده للتمييز بين الحقّ والباطل، ولهذا استمرّ الحوار بينهما في ظلال أجواء هادئة وودّية وموضوعية.

عدالة الصحابة

توصّل محمّد إسماعيل خلال البحث بأنّ أهل السنّة تركوا أهل البيت عليهم السلام وجعلوا البديل لتلقّي ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله الصحابة، وهذا ما دعاهم إلى القول بعدالة جميع الصحابة، ولكنّه وجد خلال مطالعته لحياة الصحابة بأنّ من المستحيل أن يكون جميع الصحابة عدول، وفيهم من قتل بعضهم البعض، وسبّ بعضهم البعض، وفيهم من دخل الإسلام بإجبار، وهذا ما يحتّم على الباحث أن يتأنّى في تلقّي المعارف الدينية من الصحابة، وأن يجري قواعد الجرح والتعديل عليهم، لئلا يوقع نفسه في الهلاك.

وقد قال صلى الله عليه وآله لأصحابه: «... **إنّي لست أخش عليكم أن تشركوا بعدي، ولكنّي أخش عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها، وتُقتلوا، فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم.**»[1]

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً لأصحابه: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.**»[2]

أضف إلى ذلك توجد روايات عن الرسول صلى الله عليه وآله تؤكّد وجود النكوص والانقلاب على الأعقاب من قبل الصحابة بعد الرسول صلى الله عليه وآله منها قال صلى الله عليه وآله: «**أنا فرطكم على الحوض، وسأنازع رجالاً فأغلب عليهم، فلأقولن ربّ أصيحابي اصيحابي! فيقال لي: انك لا تدري ما أحدثوا بعدك.**»[3]

اتّباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام

واصل محمّد إسماعيل بحثه ودرس حياة أهل البيت عليهم السلام فوجدهم ذريّة اصطفاها الله تعالى وسدّد خطاها، وصانها من الخطأ والسهو، وجعلهم أوصياء الرسول صلى الله عليه وآله، وحفظة ما جاء به صلى الله عليه وآله.

ومن هذا المنطلق أعلن محمّد إسماعيل استبصاره عام ١٩٤٠م.، وصمد بوجه جميع العقبات التي وجدها أمامه قبل وبعد الاستبصار حيث عمد أقرباء زوجته إلى تطليقها بموجب فتوى أحد علماء أهل السنّة، ثمّ وصل الأمر إلى التهديد بالقتل، ولكن الله تعالى أبعد عنه السوء وحفظه من فتنتهم.

نشر علوم أهل البيت عليهم السلام

بادر محمّد إسماعيل عام ١٣٨٣هـ. بتأسيس مدرسة باسم «درس آل محمّد صلى الله عليه وآله» في مدينة «لائل بور» لتعليم المناظرة والاحتجاج والحوار، وبدأ بنشر علوم ومعارف أهل البيت عليهم السلام فيها، وواصل نشره لعقيدة مذهب أهل البيت عليهم السلام من منطلق قوله تعالى: «**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**»[4]

الهوامش:

١. «صحيح مسلم»، ج ٤، ص ١٧٩٦.
٢. «مسند أحمد»، ج ٣، ص ١٩٩؛ «صحيح البخاري»، ج ٢، ص ١٩١؛ «صحيح مسلم»، ج ١، ص ٥٨، وغيرها من المصادر.
٣. «مسند أحمد»، ج ١، ص ٤٥٢، وانظر ما في معناه «صحيح البخاري»، ج ٧، ص ٢٠٦؛ «صحيح مسلم»، ج ٧، ص ٦٦.
٤. سورة النحل، الآية ١٢٥.

المصدر: «موسوعة من حياة المستبصرين»، مركز الأبحاث العقائدية، ج ٦، صص ١٥٨-١٦٠.

حق المعلّم أو الاستاذ

أوجب الإسلام لمن يعلّم الناس حقاً عظيماً يتناسب مع عظمة العلم والمعرفة، وقد نقل لنا القرآن الكريم رغبة **موسى**عليه السلام – وهو من أولي العزم – في طلب العلم، وكيف صَمّمَ على بلوغ هذا الهدف السامي مهما كانت العوائق ومهما بعد المكان وطال الزمان، عندما قال: «... **لاَ أَبْرَحُ حتى أَبلُغَ مجمعَ البحرينِ أو أمضِيَ حُقُباً**»[1] ولمّا وجد العبد الصالح وضع نفسه موضع المتعلم، وأعطى لاستاذه حق قيادته وإرشاده، قائلاً له: «**هل أَتَّبِعُكَ على أن تُعلّمنِ مِمَّا عُلّمت رُشداً**»[2] فإذا نَبهه إلى أمر تنبّه، وإذا انكشف له الخطأ سارع إلى الاعتذار من استاذه ووعده بالطاعة، وأعطى بذلك درساً بليغاً في أدب المتعلم مع المعلّم.

وكان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يصرح بانه بُعث معلّماً، ودعا في أحاديث عديدة إلى مراعاة حق العلم والمعلّم. وتناولت مدرسة أهل البيت عليهم السلام حقوق المعلم والمتعلم معاً بشيء من التفصيل وحثت على إكرام المعلم وتبجيله، لكونه مربّي الأجيال.

تمعّن في هذه السطور التي سطرها يراع زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق، بعبارات تحمل معاني التقدير والعرفان بالجميل، فيقول: «**حق سائسك بالعلم: التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والاقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوّاً، ولا تعادي له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدته وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للنّاس.**»[3]

وانطلاقاً من حرص الإسلام الدائم على انسياب حركة العلم، وعدم وضع العقبات أمام تقدمه وانتشاره، طلب من المعلم أن يضع نصب عينه حقوق المتعلّم، فيسعى إلى ترصين علمه، واختيار أفضل السُّبل لإيصال مادته العلمية، ولا يُنفّر تلاميذه بسوء عشرته.

ومن المعلوم أن الأئمة عليهم السلام قد اضطلعوا بوظيفة التربية والتعليم واعطوا القدوة الحسنة في هذا المجال، وخلّفوا تراثاً علمياً يمثل هدىً ونوراً للاجيال. فمن حيث الكفاءة العلمية فهم أهل بيت العصمة، ومعادن العلم والحكمة، ومن حيث التعامل الأخلاقي فهم في القمّة، بدليل أنّ الطلاّب يقصدونهم من كلّ حدب وصوب، ويسكنون لهم كما يسكن الطير إلى عشّه. وكان الإمام الصادق عليه السلام يشكّل الأنموذج للمعلم الناجح الذي يقدّر العلم حقّ قدره، وقد جمع إلى علميته الفذّة أخلاقية عالية. قال **الحسن بن زياد:**

سمعتُ أبا حنيفة وقد سُئل عن أفقه من رأيت، قال: جعفر بن محمّد. وقال ابن ابي ليلى: ما كنتُ تاركاً قولاً قاله أو قضاءً قضيته لقول أحد إلاّ رجلاً واحداً هو جعفر بن محمّد.[4]

وقال فيه **مالك بن أنس** – أحد أئمة المذاهب الاربعة:

كنت أرى جعفر بن محمّد. وكان كثير الدعابة والتبسم. فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وآله اخضرَّ واصفرَّ... .[5]

وقال مالك أيضاً:

ما رأت عيني أفضل من جعفر بن محمّد فضلاً وعلماً وورعاً... .[6]

ثم أشاد بزهده وفضله. وعلى الرغم من كونه يمتاز بشخصية محببة كانت له هيبة وجلالة في قلوب الناس.

روى **أبو نعيم** في «الحلية» بسنده عن **عمرو بن المقدام**، قال: **كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد علمت أنّه من سلالة النبيين.**[7]

الهوامش:

١. سورة الكهف، الآية ٦٠.
٢. نفس المصدر، الآية ٦٦.
٣. «بحار الانوار»، ج ٢، ص ٤٢.
٤. «في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام»، ج ٢، ص ٤٣.
٥. «الإمام جعفر الصادق عليه السلام»، المستشار عبدالحليم الجندي، طبع القاهرة ١٩٧٧م./ ١٣٩٧هـ.، ص ١٥٩.
٦. «في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام»، ج ٢، ص ٣١.
٧. المصدر السابق.

المصدر: ذهبيات، عبّاس، «الحقوق الإجتماعية في الإسلام»، مركز الرسالة، ١٤١٧هـ.

ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام في موضوع العرش والكرسي

عن **زرارة** قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ «وَسِعَ كُرسِيُّهُ السّمواتِ و الأرضَ»، السموات والأرض وسعن الكرسي أم الكرسي وسع السموات والأرض؟ فقال: «بل الكرسي وسع السموات و الأرض والعرش وكل شيء في الكرسي.»[1]

وعن **داود الرقي** قال:

سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ «وَ كانَ عَرشُهُ على الماءِ» فقال لي: «ما يقولون في ذلك؟» قلت: يقولون إنّ العرش كان على الماء و الرب فوقه. قال: «كذبوا من زعم هذا فقد صيره محمولًا و وصفه بصفة المخلوقين ولزمه أنّ الشيء الذي يحمله أقوى منه.»[2]

وعن **عبد السلام بن صالح الهروي** قال:

سأل المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرضا عن قوله عزّوجلّ: «و هُوَ الّذي خَلَقَ السّمواتِ و الأرضَ في سِتّةِ أيّام و كانَ عرشُهُ على الماءِ لِيَبلُوَكُم أيُّكُم أحسَنُ عَمَلًا»، فقال: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السموات والأرض...»[3]

مقارنة بين روايات المدرستين

أوّلًا: العرش و الكرسي عند مدرسة الخلفاء

ذكرت عبارة العرش الإلهي في «القرآن الكريم» عشرين مرة مثل «**الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**»، كما ذكرت كلمة «كُرسيُّهُ» مرة واحدة. ويعتبر **ابن خزيمة** و آخرون من مدرسة الخلفاء العرش والكرسي أجساماً ماديةً يجلس تعالى – معاذ الله – فوقها وقد استدلوا على كلامهم بسبع آيات قرآنية ذكرت فيها لفظ «العرش» و«استوى»... كما توهّموا أنّ معنى آية «**وَسِعَ كُرسِيُّهُ السّمواتِ والأرضَ**» أنّ كرسي الربّ كبير الى حدّ يسع السموات والأرض.

و قد وجدنا من خلال البحث أنّ سبب تأويل مثل هذه الآيات في مدرسة الخلفاء يعود الى:

١. وجود رواية عن النبي صلى الله عليه وآله إنّ الله كان عرشه على الماء قبل خلق الموجودات.

٢. رواية منسوبة للنبي صلى الله عليه وآله تذكر أنّ الأرض تحت السماء الاولى و أنّ السماء الاولى تحت السماء الثانية وهكذا الى سبع سموات وفوق السماء السابعة بحر فوقه سبعة وعول وفوق الوعول عرش الله و إنّ الله فوق العرش.

٣. رواية منسوبة للنبي صلى الله عليه وآله فيها أنّ عرش الله فوق السموات و إنّ فوق السموات والعرش وإنّما تزمجر من شدة ثقل الله و لها صوت كالصوت الصادر من هودج البعير المثقل بالأحمال.

و الآن لنتساءل من راوي هذه الروايات:

١. هل إنّ الله الذي يصفه في روايته ذو أربع جهات أم إنّ للعرش جهات أربع؟

٢. هل إنّ الأربع أصابع التي تقول الرواية بأنّ الله أكبر من الكرسي أربعة أصابع من كل جهة مثل أصابع الخلق أم إنّها أصابع أكبر؟ تعالى الله عما يقول الجاهلون!

٣. كل روايات مدرسة الخلفاء تذكر إن العرش موجود فوق السماء السابعة والسماء السابعة فوق السادسة وهكذا أن السماء الاولى التي تقع فوق الأرض وفوق كل هذه العرش وفوق العرش يقع مكان الله نعوذ بالله!

كل هذه الروايات تتلائم وما كان سائداً في علم الهيئة القديم الذي كان يصور العالم بناء ذو سبع أو ثمان طوابق ويصور الأرض تحت الطابق الأسفل و السموات فوقها.

وإنّ السموات السبع فكرة توحيدية إلّا أنّ علماء الهيئة صوروا هذه الفكر تصويراً مادياً يتناسب مع ذهنيّتهم.

و لكن استناداً الى علم الفلك الحديث الذي يعتبر كواكب المجموعة الشمسية التي تدور حول الشمس إحدى ملايين النجوم الموجودة في مجرتنا و إنّ مجرّتنا هي إحدى المجرات فكيف يمكن تفسير هذه الأحاديث؟

كان هذا معنى العرش والكرسي في تأويل الآيات والروايات عند مدرسة الخلفاء.

ثانياً: معنى العرش والكرسي في روايات أهل البيت عليهم السلام

الروايات التي نقلناها آنفاً جعلت علماء من مدرسة الخلفاء يتصورون أنّ عرش و كرسي الله المذكورين في القرآن جسمان ماديان.

إلّا أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام لايقرّون ذلك فالآية «**وَكانَ عَرشُهُ على الماءِ**» تعني أنّ الماء مخلوق قبل خلق السماء والأرض و كان قبل كل ذلك تحت أمر الله، و أنّ كرسي الله يعني علم الله. إذاً فالآية «**وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّمواتِ والأَرضَ**» تعني أنّ علم الله يسع السموات و الأرض. و جاء معنى العرش واستوى و الكرسي في اللّغة كما يلي:

١. **العرش:** في الأصل شيء مسقّف و جمعه عروش. قال «وهي خاوية على عروشها» و منه قيل عرشت الكرم وعرشته إذا جعلت له كهيئة سقف وسمي مجلس السّلطان عرشاً إعتباراً بعلوه وكني به العزّ والسلطان والمملكة.[٤]

٢. **استوى:** جاءت عبارة استوى على العرش ست مرات في القرآن الكريم و مرة واحدة «**الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**».

و قال **الراغب** في «مفردات القرآن»: **متى عُدّي بعلى اقتضى معنى الإستيلاء كقوله «الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ».**

و قيل و معناه استوى له ما في السموات و الأرض أي استقام الكل على مراده يستويه الله تعالى إياه كقوله ثُمّ استوى الى السّماء فسوّاهنّ، و جاء في هذا المعنى في شعر العرب كما قال الشاعر في مدح **بشر بن مروان** أمير «العراق»:

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق[٥]

٣. **الكرسي:** وأصل الكرسي العلم و منه قيل للصحيفة يكون فيها علماً مكتوباً كراسه و يقال للعالم بالكراسي.

يخف بهم بيض الوجوه وعصبة
كراسي بالأحداث حين تنوب

محل الشاهد «كراسي بالأحداث» و يعني بذلك علماء بحوادث الأمور ونوازلها.

و العرب تسمي أصل كل شيء الكرس يقال منه فلان كريم الكرس أي كريم الأصل.[٦]

وفي الآية الكريمة: «**وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّموات والأرض**» يعني وسع علمه السموات والأرض.

و قد جاء هذا المعنى في آيات عديدة، كما:

– في سورة الأنعام على لسان إبراهيم: «... **وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا...**»[٧]

– و قول نبي الله شعيب: «... **وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا...**»[٨]

– و قول حملة العرش من الملائكة: «... **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا...**»[٩]

– و خطاب نبي الله **موسى** عليه السلام لقومه: «**إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا**»[١٠]

كانت تلكم المصطلحات وتفسيرها إحدى المعارك الفكرية الموجودة عند أتباع المدرستين و من الملفت إنّ الإله عند مدرسة الخلفاء ينزل في مكان أحياناً و ينتقل من العرش في السّماء الى الأرض و من الجنة الى النار يضع رجله حتى تمتلىء.

الهوامش:

١. «التوحيد»، الصدوق، ص ٣٢٧، ح ٤ و٥.
٢. المصدر السابق، ص ٣١٩، ح ١.
٣. المصدر السابق.
٤. «مفردات القرآن»، الراغب الأصفهاني، كلمة «عرش» وقريب منه كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية تأليف أبو هاشم أحمد بن حمدان الرازي (م ٣٢٢هـ.). و«لسان العرب» و«صحاح اللغة» للجوهري، لفظه «عرش».
٥. بشر بن مروان أخو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان والي العراق من قبله في سنة ٧٤هـ. وتوفي في البصرة. («تاريخ مدينة دمشق»)
٦. «تفسير الطبري»، ج ٣، ص ٤٨؛ «أساس البلاغة»، ص ٣٩٠، لفظ «كرس».
٧. سورة الانعام، الآية ٨٠.
٨. سورة الاعراف، الآية ٨٩.
٩. سورة غافر، الآية ٧.
١٠. سورة طه، الآية ٩٨.

المصدر: العلامة العسكري، سيد مرتضى، «على مائدة الكتاب السنة»، طهران، المجمع العلمي الاسلامي، ١٤١٨هـ.ق.

استحباب التختم و آدابه

من المستحبات المؤكّدة للرجال و النساء التختّم باليد اليمنى، و ورد في بعض الأحاديث جواز التختّم باليد اليسرى، و إذا كان على الخاتم نقش اسم من الأسماء الشريفة كاسم الجلالة و اسم النبي صلى الله عليه وآله و الأئمة عليهم السلام فيجب نزعه من اليد حال الإستنجاء.

– عن **محمّد ابن أبي نصر البزنطي** صاحب الرضا عليه السلام قال: **سألته عن الرّجل يلبس الخاتم في اليمين قال: «إن شئت في اليمين و إن شئت في الشمال.»**[١]

– عن الباقر عليه السلام عن **جابر بن عبد الله** أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يتختّم بيمينه.[٢]

– عن **سلمان الفارسي** قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «يا عليّ تختّم باليمين تكن من المقربين.» قال: «يا رسول الله و من المقرّبون؟» قال: «جبرئيل و ميكائيل.» قال: «بم أتختّم يا رسول الله؟» قال: «بالعقيق الأحمر فإنّه أوّل جبل أقرّ لله عزّ و جلّ بالوحدانية، ولي بالنّبوة، و لك يا عليّ بالوصيّة، و لولدك بالإمامة، و لمحبّيك بالجنة، و لشيعة ولدك بالفردوس.»[٣]

– عن **محمّد بن أبي عمير**، قال:

قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام أخبرني عن تختّم أمير المؤمنين عليه السلام بيمينه لأيّ شيء كان؟ فقال: «إنّما كان يتختّم بيمينه لأنّه إمام أصحاب اليمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله و قد مدح الله أصحاب اليمين و ذمّ أصحاب الشمال، و قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتختّم بيمينه و هو علامة لشيعتنا يعرفون به و بالمحافظة على أوقات الصّلاة و إيتاء الزكاة و مواساة الإخوان و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.»[٤]

– قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«من نقش على خاتمه اسم الله فليحوّله عن اليد التي يستنجي بها في المتوضأ.»[٥]

– قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«يا عليّ لا تختّم في السّبابة و الوسطى فإنّه كان يتختّم قوم لوط فيهما. و لا تعرّ الخنصر.»[٦]

– ورد في «فقه الرضا» أنه إذا أردت لبس الخاتم في يدك فقل: **«اللّهمّ سمني**[٧] **بسيماء الإيمان، و اختم لي بخير و اجعل عاقبتي إلى خير إنّك أنت العزيز الكريم.»**[٨]

الهوامش:

١. «الوسائل»، ج ٣، ص ٣٩٥، باب ٤٨ من أبواب أحكام الملابس، ح ٦.
٢. المصدر السابق، ص ٣٩٧، باب ٤٩ من أبواب أحكام الملابس، ح ٤.
٣. المصدر السابق، ح ٥.
٤. المصدر السابق، ص ٣٩٦، باب ٤٩ من أبواب أحكام الملابس، ح ٣.
٥. «الكافي»، ج ٦، ص ٤٧٤، ح ٩.
٦. «الوسائل»، ج ٣، ص ٤٠٨، باب ٥٩ من أبواب أحكام الملابس، ح ٢.
٧. يقال: سوم الشيء تسويما: جعل عليه سيمة، و السومة و السيمة و السيماء: العلامة و الهيئة.
٨. «مستدرك الوسائل»، ج ١، ص ٢٢١، باب ٣٨ من أبواب أحكام الملابس، ح ٢٥.

المصدر: العلامة المجلسي، «حلية المتقين فى آلادب و السنن و الاخلاق».

الأثر الخالد في الولد والوالد

جند العقل

انّ للعقل جنودا يحرسونه من الآفات، ويساعدونه في الملمّات، ولقد منّ الله تعالى على العقل بهذه الجنود المجنّدة كي لا تبقى عليه حجة، وله الحجة البالغة تبارك وتعالى وفي هاتيك الجنود. ثم بلغ عدد الجنود كما عدّها ٨١ جنديا كل منهم يكفي لأن يقود الانسان الى شاطئ الخير والسلامة والسعادة.

الشّكر

من الواجب على كل ذي لبّ شكر المنعم وقد اوجبه العقل والنقل. أما العقل: لا شك ولا ريب أنه يحكم بوجوب الشكر عند اسد آل النعمة، ومن لم يشكر المنعم فقد ظلمه. وأما النقل: فقد جاء في الأخبار الكثيرة ما يدل على وجود شكر المنعم، وأنّ هل جزاء الإحسان الاّ الإحسان، وأن من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق. ثم من يستحق الشكر بعد الله سبحانه وتعالى اكثر من الوالدين، فانهما السبب الظاهري في وجود الانسان وأي نعمة هي أولى وأكبر وأفضل من نعمة الوجود وكان الانسان معدما لولا اقتضاء حكمه الله عزّ وجل جعل الابوين جزء علة ايجاده، فعليه يجب الشكر للوالدين كما يجب لله تعالى. وهو القائل تعزّز وتقدس: «**أن اشكر لي ولوالديك اليّ المصير.**»[1]

١. عن **محمّد بن علي ماجيلويه** قال: حدّثني أبي عن **احمد بن أبي عبد الله البرقي**... عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «**انّ الله عزّ وجلّ أمر بثلاثة، مقرون بها ثلاثة أخرى: أمر بالصلاة والزكوة فمن صلى ولم يزكّ لم تقبل منه صلاة، وأمر بالشكر له وللوالدين فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله، وأمر باتقاء الله وصلة الرحم فمن لم يصل رحمه لم يتق الله عز وجّل...**»[2]

البر والبار

من أفضل الطاعات البر، ومن افضل البّر، بّر الوالدين فمرحى لمن برّ والديه، وطوبى له، فان الجنّة مأواه، والنار بعيدة عنه، وهو من السعداء، وقد جرّبنا من كان برا بوالديه في زماننا هذا ورأيناه يعيش في سعة الرزق وتغدو وتروح عليه الايام وهو في بحبوحة النعيم، سواء كان ثريا أم لا، وسواء كان عاملا أم رب عمل، والحكايات على هذه كثيرة وكثيرة جداً، ليس المقام مقام السرد، لخوف الخروج عن صلب الموضوع، لكن كيف ما تعامل ابويك يعاملك ابناؤك.

١. عن **محمّد بن الحسن بن احمد بن الوليد** قال: حدّثنا **محمّد بن الحسن الصفّار**... عن **أبي بكر الحضرمي**، عن بعض اصحابه، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «**برّوا آبائكم يبركم ابنائكم، وعفوا عن الناس تعف نسائكم...**»[3]

٢. عن **علي بن موسى بن جعفر بن أبي جعفر الكميداني**... عن **الحسين بن مصعب الهمداني** قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**ثلاثة لا عذر لاحد فيها: اداء الامانة الى البرّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبر الوالدين كانا أو فاجرين...**»[4]

٣. عن **عبد الله بن جعفر الحميري**... عن **عنبسة بن مصعب** قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: «**ثلاث لم يجعل الله تعالى لاحد من الناس فيهنّ رخصة: بر الوالدين برّ لن كانا او فاجرين، ووفاء بالعهد للبر والفاجر، واداء الامانة الى البر والفاجر...**»[5]

٤. عن **الخليل بن احمد السجزي** عن **ابو القاسم البغوي**... عن **الوليد بن الغيران بن حريث** قال: سمعت أبا عمرو الشيباني قال: حدثني صاحب هذا الدار، واشار بيده الى دار **عبد الله بن مسعود**، قال: **سألت رسول الله صلى الله عليه وآله: اي الاعمال احب الى الله عزّوجل؟ قال صلى الله عليه وآله: «الصلوة لوقتها.» قلت: ثم أي شيء؟ قال صلى الله عليه وآله: «بر الوالدين.» قلت: ثم أي شيء؟ قال صلى الله عليه وآله: «الجهاد في سبيل الله عزّوجلّ.» فحدثني بهذا، ولو استزدته لزادني...**[6]

٥. قال منقذ البشر صلى الله عليه وآله: «**برّ الوالدين يورث رضا الرحمن...**»[7]

٦. وقال صلى الله عليه وآله: «**بر الوالدين يجزي عن الجهاد ...**»[8]

٧. وقال صلى الله عليه وآله: «**سيّد الأبرار يوم القيامة رجل برّ والديه بعد موتهما...**»[9]

٨. «**وبرّا بوالديه ولم يكن جبّارا عصيّا...**»[10]

٩. «**ووصينا الانسان بوالديه حسنا...**»[11]

١٠. **الحسين بن محمّد**، عن **معلي بن محمّد**، عن **الوشّاء**، عن **منصور بن حازم**، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: **أي الأعمال أفضل؟** قال عليه السلام: «**الصلاة لوقتها، وبرّ الوالدين، والجهاد في سبيل الله عزوجلّ ...**»[12]

١١. عن **احمد بن خالد**، عن ابيه، عن **عبد الله بن بحر**، عن **عبد الله ابن مسكان**، عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال – وأنا عنده لعبد الواحد الأنصاري في برّ الوالدين في قول الله عزوجلّ: «**وبالوالدين احسانا**» الى أن قال عليه السلام – «**ووصينا الانسان بوالديه وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما**» فقال عليه السلام: «**انّ ذلك اعظم من يأمر بصلتهما وحقّهما على كل حال.**» قال: «**وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم؟**» فقال عليه السلام: «**لا بل أمر بصلتهما وأن جاهداه على الشرك ما زاد حقّهما الاّ عظما...**»[13]

١٢. **محمّد بن يحيى**، عن **أحمد بن محمّد بن عيسى**... عن **عمّار بن حيّان**، قال: **خبّرت أبا عبد الله عليه السلام، ببر اسماعيل ابني بي، فقال: «لقد كنت أحبّه، وقد ازددت له حبّا، ان رسول الله صلى الله عليه وآله، أتته اخت له من الرضاعة، فلّما نظر اليها سرّ بها، وبسط ملحفته لها، فأجلسها عليها، ثم أقبل يحدّثها، ويضحك في وجهها، ثم قامت وذهبت، وجاء أخوها فلم يصنع به ما صنع بها، فقيل له: يا رسول الله صلى الله عليه وآله صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل؟! فقال صلى الله عليه وآله: «لأنّها كانت أبر بوالديها منه...»**[14]

١٣. عن **محمّد بن يحيى**... عن **جابر** قال: سمعت رجلا يقول لأبي عبد الله عليه السلام: **ان لي أبوين مخالفين؟** فقال عليه السلام: «**برّهما كما تبرّ المسلمين عن يتولاّنا...**»[15]

١٤. عن **محمّد بن علي**، عن **عبد الرحمان بن محمّد الأسدي**... عن **الحسن البصري** قال: كنت مع أبي جعفر عليه السلام بمنى، وقد مات رجل من قريش فقال عليه السلام: «**يا أبا سعد قم بنا الى جنازته.**» فلّما دخلنا المقابر قال عليه السلام: «**ألا اخبركم بخمس خصال هي من البرّ، والبرّ يدعوا الى الجنّة.**» قلت: **بلى. قال** عليه السلام: «**اخفاء المصيبة وكتمانها، والصدقة تعطيها بيمينك لا تعلم بها شمالك، وبرّ الوالدين، فانّ برّهما لله رضى، والاكثار من قول لا حول ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم فانّه من كنوز الجنّة، والحبّ لمحمّد وآل محمّد عليهم السلام...**»[16]

الهوامش:

١. سورة لقمان، الاية ١٤.
٢. الخصال، باب الثلاثة، ص ١٢٣.
٣. الخصال، ص ٤٤، باب الاثنين، الحديث ٧٥.
٤. الخصال، ص ٩٨، باب الثلاثة الحديث ١١٨، وعن علي بن ابراهيم، الكافي، ج ٢٠، ص ١٢٩، باب البر، الحديث ١٥.
٥. الخصال، ص ١٠١، باب الثلاثة، الحديث ١٢٩.
٦. الخصال، باب الثلاثة ص١٢٩ الحديث ٢١٣.
٧. غوالي الدرر، حرف الباء، ص ١٥.
٨. غوالي الدرر، حرف الباء، ص ١٥.
٩. غوالي الدرر، حرف السين، ص ٩٠.
١٠. سورة مريم، الآيه ١٤.
١١. سورة العنكبوت، الاية ٨.
١٢. الكافي، ج ٢، ص ١٢٧ باب البر، الحديث ٤.
١٣. الكافي، ج٢، ص ١٢٧، باب البر، الحديث ٦.
١٤. الكافي، ج ٢، ص ١٢٩، باب البر، الحديث ١٢.
١٥.. الكافي، ج ٢، ص ١٢٩، باب البّر، الحديث ١٤.
١٦. المحاسن، كتاب الاشكال والقرائن، ص ٨، الحديث ٢٧.

المصدر: العلوي، السيد علي بن الحسين، الخالد في الولد والوالد، منشورات دار الذخائر، صص ٦٩-٧٥.

الامام علي عليه السلام: المعرفة والسيرة

قال **الحسن البصري** في وصف الامام عليّ عليه السلام:
اراهم السبيل، و اقام لهم الدين إذا اعوجّ.[1]

قد يدّعي البعض منّا أنّه يعرف أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام أكثر من معرفته بأي شي ء آخر، و قد تكون معرفتنا به افضل من سائر الائمة عليهم السّلام. غير أننا و إن كنّا جميعا نعرف عليّا لكنّ معرفتنا الحقيقية بحياة عليّ الواقعيّة ضئيلة جدّا.

و الظاهر أنّ سبب ذلك هو قوّة الاشراق وسعة المساحة التي يتمتّع بها عليّ عليه السلام ممّا يجعل الالمام بحياته و اعطاء خطّ بياني كلّي عنه امرا مشكلا. و امّا معرفته كواحد في كثير، و كثير هو في الحقيقة في شكل الواحد فلا يمكن أن يبين لنا من خلال عدد من المعلومات المشتّتة. بل لا بدّ من التفكير بسعة و شمولية مع المحافظة على عنصر التركيز و الدقّة في حركات عليّ و خصاله و صفاته و دوافعه و اقواله و افعاله لنجد بعد كثير من التأمّل و الامعان أنّنا لم نعرف عن تلك الشخصية الّا جانبا محدودا من شخصيته و انّا ما زلنا في منعطف الطريق.

معرفة مختصرة

اسمه عليّ، و اسم ابيه **ابو طالب** (و إن كان يجب تسميته أبا عليّ)، أمّه **فاطمة بنت أسد**، مولده «الكعبة الشريفة» في «مكّة المكرّمة»، سنة ولادته العام الرابع و العشرون قبل الهجرة، مكان نشأته بيت رسول الله صلى الله عليه وآله حيث نشأ و ترعرع في حضن النبيّ صلى الله عليه وآله و **خديجة** عليها السلام.

امضى فترة صباه في بيت الرسول صلى الله عليه وآله حيث كان أبوه لا يقوى على تحمّل العب ء الثقيل لعائلته. فطلب رسول الله إليه إعانته بأن يكفل احد ابنائه لقاء الاتعاب التي بذلها ابو طالب بحقّ النبيّ حين كان يتيما، فكان علي نصيبه. و هكذا قضت مشيّة الله سبحانه أن يكون لعليّ عليه السلام هذا الفخر الذي ما شاركه فيه احد غير فاطمة عليها السلام.

إيمان عليّ عليه السلام

استنادا الى اصحّ النصوص التاريخية و الحديثية فانّ الامام عليّا عليه السلام هو أوّل من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله، و إن تدخلت يد السياسة بعد ذلك فاثارت أوهاما و شكوكا حول الموضوع. و ما جاء في كتب الحديث و التاريخ قديمها و حديثها صريح في هذا الباب بما لا يدع مجالا للشكّ و الشبهة.[2]

و قد سعى بعض ممّن عرف هذه الحقيقة و صدّق بها الى التقليل من أهمّيّة الموضوع بادّعاء أنّ الإمام كان حينها طفلا لم يبلغ الرشد، لكنّ ثمّة شواهد مقنعة تدلّ بوضوح على نضجه الفكريّ آنذاك، بل إنّ عمره يدلّ بوضوح على ذلك.

و قد خصّص **محمّد بن عبد الله الإسكافي** في كتابه القيّم «المعيار و الموازنة» موضوعا للبحث في هذا الأمر نذكر فيما يلي خلاصته حيث كتب يقول:

حين نلاحظ النبيّ كيف يدعو عليّا الى الاسلام يمكننا أن ندرك بوضوح أنّه كان حينها بالغا و عاقلا و ان النبيّ صلى الله عليه وآله كان يرى اعتناقه للاسلام واجبا عليه. و لو كان عليّ عليه السلام طفلا آنذاك لم يجب عليه حكم خصوصا و الاسلام في بدايته في ذلك الحين. كما لم يكن المجتمع مجتمعا اسلاميّا كي يقوم الناس بتعليم اطفالهم لقبول الاسلام. و كان الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك الوقت محتاجا الى اسلام من يعتنق الاسلام عن علم و بصيرة.

(ثم يضيف فيقول:) **فان قيل: وكيف يكون بالغا و سن البلوغ في الاسلام هو اكمال السنة الخامسة عشرة من العمر في الذكر؟ قلنا: إنّ آخر حدّ البلوغ في الاسلام هو السنّ المذكور، اذ به يحصل البلوغ حتى لاضعف الناس عقلا من الرجال. و لا ريب أن لكل أخير أوّلا و وسطا فيصحّ معه قبول بلوغ إنسان لم يبلغ سنّ الخامسة عشر.**

و قد كان لأمير المؤمنين من العمر حين آمن بالاسلام ثلاث عشرة سنة و هو ما يعتبر اوّل مراتب البلوغ.

و يستمر الإسكافيّ في حديثه فينقل رواية عن أهل السنّة مفادها: أنّ عليّا عليه السلام سأل النبي صلى الله عليه وآله عند ما رآه يصلي ما ذا يفعل؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله:
هذا دين الله يا عليّ.

ثم عرض عليه السلام فقال له عليّ بن ابي طالب عليه السلام: «انظرني حتى افكّر فيه ليلة.» ثم يقول الاسكافي: «**و بعيد عن طفل مثل هذا الجواب.**»[3]

و توجد اقوال متضاربة في السنّ التي آمن معها عليّ عليه السلام حيث أن المنقول إيمانه ما بين ٨ سنين و ١٦ سنة. و الذي يبدو من عبارة الاسكافي المتقدمة أنّ الامام عليه السلام اعتنق الاسلام و عمره ١٢ سنة.[4]

غير أنه يبدو لي أنّ الزيادة و الانقاص في عمر الامام عليه السلام رغم ما يعتريه من عدم الاطلاع الدقيق بذلك، له دوافعه الخاصة التي منها اظهار الامام طفلا غير بالغ عند إيمانه إما بدافع التقليل من شأن هذا الأمر، أو لاثبات أنّ الامام لم يكن له عهد بالجاهلية (و ان كان عمره عند إيمانه بالاسلام ١٣ سنة) و عكس هذا يأتي بالنسبة الى فرض الزيادة في عمره.

و اذا كنّا من القائلين بالاخذ باوسط الامور فانّ علينا أن نقبل بقول الاسكافيّ أي أن نقبل بأنه كان لعليّ عليه السلام حين اسلامه ثلاث عشرة سنة. خصوصا و أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله اوكل إليه امر اعداد الطعام في واقعة الانذار «٣». فلا بدّ أن يكون عليّ في ذلك الوقت– بعد ثلاث سنين من البعثة الشريفة– في سنّ يتوقع منه صدور مثل هذا العمل منه.

صحبة عليّ عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله

يمكن تقسيم حياة الامام الى مراحل عدّة:

المرحلة الاولى: و تبدأ من زمان النبيّ صلى الله عليه وآله و تستمرّ الى حين وفاته. فخلال هذه المدّة الطويلة لم ير عليّ عليه السلام بعيدا عن رسول الله صلى الله عليه وآله الّا نادرا، و ما من امر حدث الّا كان لعليّ فيه معلم و اثر. و اذا شئنا أن نقوم بتحليل واقعيّ عن علاقة الاخوّة التي اوجدها رسول الله صلى الله عليه وآله بينه و بين عليّ عليه السلام في السنين المتأخرة لكان علينا ان نعتبرها آية على صداقة و صحبة طويلة بينهما –كأخوين – تمتدّ الى جميع مراحل الحياة.

و قد عبّر الامام عن هذه الصحبة بعبارات مختلفة و ضمّنها قالب تشبيهات جميلة. و انعكست آثار هذه الصحبة و تمثّلت بانتقال علم رسول الله صلى الله عليه وآله و عمله إليه و تجلّي كمالاته فيه، قال عليّ عليه السلام: «**و لقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمّه.**»[5]

و كانت نتيجة هذا الارتباط الوثيق بين الرجلين ما كان من قوله: «**إني لم اردّ على الله و لا رسوله ساعة قطّ.**»[6]

و قد منح هذا القرب الذي بينهما الفرصة للامام عليه السلام لينهل من بحر علم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا يقف عند حدّ كما قال هو عن ذلك: «**و كان لا يمرّ بي من ذلك شي ء الّا سألته عنه و حفظته.**»[7]

و طبيعيّ انّ النبي صلى الله عليه وآله اذا كان مدينة العلم فإنّ عليّا يجب أنّ يكون بابها لانه الوحيد الذي كان على اتصال مباشر بهذا البحر من العلم.

و قد اختاره النبي صلى الله عليه وآله أخا له لتزداد هذه العلاقة وثوقا و متانة و قال في ذلك: «**عليّ منّي.**» و قال **جبرئيل**: «**و أنا منكما.**»[8]

و لمّا راى الناس ما لعليّ من المنزلة فقد جعلوه واسطتهم عند النبي صلى الله عليه وآله و جعلوا يقدّمون اسئلتهم الى رسول الله من خلاله.[9]

يقول ابو سعيد الخدري في وصف هذه العلاقة: «**كانت لعليّ درجة لم تكن لاحد من الناس.**»[10]

و عند ما يسأل الامام لما ذا تروي من حديث النبي اكثر مما يرويه سائر الصحابة فيجيب: «**لانيّ كنت اذا سألته انبأني، و اذا سكتّ ابتدأني.**»[11]

و من جملة الادلة التي تؤكّد وجود هكذا علاقة لعليّ بالنبيّ صلى الله عليه و آله و آثارها البارزة في علم الامام معرفته بشأن نزول الآيات القرآنية و تفسيره الدقيق لها. قال علي عليه السلام: «**و الله ما نزلت آية الّا و قد علمت فيما نزلت و أين نزلت.**»[12]

و كان الامام خلال الفترة التي كان فيها النبيّ صلى الله عليه و آله مشغولا بالدعوة الى الاسلام و التبليغ يعد نفسه للدفاع و التضحية من اجله.

و عند ما بلغ رسول الله صلى الله عليه و آله الأمر باعلان دعوته، و اراد ان يدعو قرابته كان عليّ عليه السلام نعم العون له، يهيئ الاستعدادات اللازمة للمجلس و يبدي بين القوم وفاءه و اخلاصه.

و حين كان بعض الافراد امثال ابي ذر تائهين في مكّة بحثا عن بيت النبي صلى الله عليه و آله كان عليّ عليه السلام الفتى الشجاع يأخذهم الى منزله سرّا مراعيا رغم ذلك اساليب العمل السري الدقيقة.

و عند ما قاطعت قريش النبي صلى الله عليه و آله اقتصاديا و اجتماعيا و حاصرته في شعب ابي طالب كان عليّ من جملة من كانوا يتحمّلون الصعاب و يسلكون الطرق الوعرة لتوفير الموادّ الغذائية للنبيّ صلى الله عليه و آله و سائر الصحابة.[13]

و حين كان رسول الله صلى الله عليه و آله يتّجه صوب الطائف و المناطق الواقعة اطراف مكّة ليعمل بواجبه في تبليغ الرسالة الالهية كان عليّ هو الذي يرافقه لكيلا يبقى النبيّ وحيدا و ليعينه عند تعرضه للمشكلات.

و حين عزم المشركون – الذين وقعوا تحت ضغط دعوة الرسول و تبليغه و رأوا في استمرارها زوال سلطتهم – على قتله كان ناصر رسول الله صلى الله عليه و آله المضحي معه يعدّان خطة لمواجهة هذه المؤامرة تحتاج الى تضحية و فداء، و كان في قلب عليّ عليه السلام من الحبّ لرسول الله صلى الله عليه و آله ما جعله يرضى من صميم قلبه أن يعرّض نفسه الى خطر الموت لينجو رسول الله صلى الله عليه و آله من الخطر الذي يتهدّده.

و بعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه و آله الى «المدينة» بايام كان عليّ عليه السلام اقرب الناس إليه يتولى مسئولية حمل عائلة النبي صلى الله عليه و آله التي كانت عرضة لتهديد المشركين الى المدينة إضافة الى مسئولية ردّ امانات الناس (التي كانت عند النبيّ صلى الله عليه و آله الى اهلها). و قد لبث رسول الله صلى الله عليه و آله مترقّبا على مقربة من يثرب حتى يعود اخوه علي عليه السلام من السفر ليدخل المدينة معه.

و قد ازدادت هذه العلاقات قوّة و استحكاما بزواج عليّ من فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و كانت ثمرة الزواج المبارك اولادا كان رسول الله صلى الله عليه و آله يحبّهم اعظم الحبّ و يسمّيهم ابناءه[14] و لم يكن ذلك لاجل فاطمة عليها السلام وحدها بل لاجل عليّ عليه السلام أيضا. لأن النبيّ صلى الله عليه و آله كان يعتبر نفسه و عليا من شجرة و باقي الناس من اشجار أخر.

و قد سئلت **عائشة** عن احبّ الناس الى رسول الله صلى الله عليه و آله فقالت: «**امّا من الرجال فعليّ و امّا من النساء ففاطمة.**»[15]

و كان بيت عليّ عليه السلام من القرب الى بيت رسول الله صلى الله عليه و آله ما جعل **عبد الله بن عمر** يعتبر ذلك شاهدا على العلاقة الوطيدة بينه و بين النبيّ صلى الله عليه و آله[16] تلك العلاقة التي كان **زيد بن ثابت** يقبلها رغم كل المعارضة التي كان يبديها لعليّ عليه السلام.[17]

و اما عن اشتراك الامام في الحروب في صدر الاسلام فقد قيل في ذلك الكثير فبدر و أحد و الخندق ثم معركة حنين كلّها ملاحم رائعة سطّر فيها الامام تضحياته و بطولاته فان نصف قتلى بدر لقوا حتفهم على يديه.

و حينما فرّ اكثر المسلمين من ساحة المعركة في أحد، ظل هو و عدد قليل منهم الى جوار رسول الله يدافع عنه و عن الاسلام. و في معركة الخندق كان علي قد ادّخر من الأجر بقتله **عمرو بن عبد ودّ** ما يعدل عبادة الثقلين و كان في اكثر المعارك و الحروب حاملا لواء جيش الاسلام.[18]

إن من يعرف حياة عليّ عليه السلام و قربه عن رسول الله صلى الله عليه و آله يفهم كم بذل من الجهود و تحمّل من المشاق من اجل استقرار الاسلام و انتشاره. اجل لقد كان هو و ابوه ابو طالب و اخوه **جعفر** اكثر الناس عزما و سعيا من اجل الحفاظ على النبي صلى الله عليه و آله و الاسلام.[19]

و كانت لعليّ عليه السلام من الشجاعة في الحروب ما جعل بعض العرب يقولون: **كنا كلما هجمت طائفة فيها عليّ عليه السلام اوصى احدنا الآخر.**[20]

و كان **احمد بن حنبل** اذا اراد أن يصف عليّا عليه السلام يقول: **ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالاسانيد الصحاح مثل ما لعليّ رضي الله عنه.**[21]

كما كان اذا دار الحديث في مجلسه – و هو احد ائمة المذاهب الاربعة – عن علي و الخلفاء الثلاثة قال: **إنّ ابن ابي طالب لا يقاس به احد.**[22]

و لا بأس أن ننقل هنا احدى فضائل الامام بتفسير امام الحنابلة فقد روى **محمّد بن منصور الطوسي** قال:

كنّا عند احمد بن حنبل فسأله شخص: ما ذا تقول في الحديث المرويّ عن عليّ عليه السلام انّه قال: انا قسيم النار.»

فقال احمد: و لما ذا تنكرونه اما روينا ان النبي صلى الله عليه و آله قال لعليّ عليه السلام: «لا يحبّك الّا مؤمن و لا يبغضك الّا منافق»؟ فقلنا: بلى. فقال: فاين يكون المؤمن؟ قلنا: في الجنّة. قال: فالمنافق؟ قلنا: في النار، قال: فعليّ قسيم النار.[23]

و قد منع بنو أميّة من نقل اغلب هذه الفضائل فيما بعد و لم يكن يجرأ على نقلها الّا عدّة معدودة. و كان **عبد العزيز ابو** (عمر بن عبد العزيز) الذي كان احد خلفاء بني أميّة يقول لولده: **لو علم هؤلاء الحمير ما نعلمه عن عليّ ما تبعنا اثنان.**[23]

الهوامش:

١. «مصنّف»، ابن ابي شيبة، ج ١٢، ص ٨٣.

٢. راجع كتاب «الغدير»، ج ٣، ص ٢٢١ و ما بعدها حيث يصرّح الامام نفسه في عدة مواضع فيقول في موضع: «أنا أوّل رجل اسلم مع رسول الله.» («شرح نهج البلاغة» لابن ابي الحديد، ج ٣، ص ٢٥٨.) أو يقول: «أنا أوّل من صلّى مع رسول الله.» («الاستيعاب»، ج ٢، ص ٤٥٨.) و في موضع ثالث يقول أيضا: «اسلمت قبل أن يسلم الناس بسبع سنين.» («الرياض النضرة»، ج ٢، ص ١٥٨.)

٣. «المعيار و الموازنة»، تحقيق المحمودي، طبع بيروت، ص ٦٧ و ما بعدها.

٤. راجع كتاب: «ترجمة الامام عليّ بن ابي طالب من تاريخ دمشق»، ج ١، صص ٤١-٤٦.

٥. هي حادثة الدعوة التي دعا فيها رسول الله صلى الله عليه و آله عشيرته و اهل قرابته الى منزله و دعاهم الى الاسلام إشارة الى الآية الكريمة: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»

٦. «نهج البلاغة»، الخطبة ١٩٠.

٧. المصدر السابق، الخطبة ١٩٥.

٨. المصدر السابق، الخطبة ٢٠٨.

٩. «حياة الصحابة»، ج ١، ص ٥٥٩.

١٠. «التراتيب الادارية»، ج ١، صص ٥٨-٥٩.

١١. «انساب الاشراف»، تحقيق المحمودي، ج ١، ص ٩٨. «مصنف عبد الرزاق»، ج ١٠، ص ١٤١.

١٢. المصدر السابق، ج ١، ص ٩٨.

١٣. المصدر السابق، ج ١، ص ٩٩.

١٤. «المعيار و الموازنة»، ص ٨٨.

١٥. و هو ما انكره فيما بعد بنو أميّة و بنو العباس. راجع كتاب «الحياة السياسية للامام الحسن عليه السلام».

١٦. «تاريخ جرجان»، ص ٢١٨؛ «ربيع الابرار»، ج ١، ص ٨٢١.

١٧. «انساب الاشراف»، ج ٢، صص ١٨١-١٨٢.

١٨. «مصنف عبد الرزاق»، ج ١٠، ص ١٤١؛ فتوح ابن اعثم، ج ٢، ص ١٦٥.

١٩. «حياة الصحابة»، ج ٢، صص ٥١٤ و٥١٥؛ «انساب الاشراف»، ج ٢، صص ٩١ و٩٤.

٢٠. «شرح نهج البلاغة» لابن ابي الحديد، ج ٧، ص ١٧٤.

٢١. «ربيع الابرار»، ج ٣، ص ٣١٩.

٢٢. «مناقب احمد بن حنبل» لابن الجوزي، صص ١٦٢-١٦٣؛ ابن ابي يعلى، «طبقات الحنابلة»، ج ١، ص ٣١٩.

٢٣. المصدر السابق، صص ١٦٠-١٦٣.

المصدر: «الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام»، رسول جعفريان، دار الحق، ١٤١٤هـ

شاهدٌ منه؛ الإمامة والعلم اللدني

قيل قد قسمنا الآيات التي تتحدث عن الامامة إلى طوائف عدة نتناولها بالتفصيل و الطائفة الثانية كانت آيات الكتاب و قيل بالتفصيل حولها. حتى وصلنا الى هذا البحث:

قوله تعالى: «**أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**»[1]

تفسير الآية وسياقها

الآية الكريمة في مقام الموازنة بين كفتين بعد ان ذكر الاحتجاج مع الكفار على كون القرآن كتابا منزلا من عند الله سبحانه، ثم يطيب خاطر النبي بأن ليس من كان كذا وكذا كغيره ممن ليس كذلك، وأنت على هذه الصفات من كونك على بصيرة من ربك ويتلوه من يشهد بأحقية القرآن وكان على بصيرة من أمره فآمن به عن بصيرته وشهد بأنه حق منزل من عند الله تعالى.

إنما اوردناها في هذه الطائفة من حيث ان هذا الشاهد من شأنه أن يشهد على اصل النبوة وأحقية القرآن فتكون قريبة المضمون من آية سورة الرعد، مع اتفاقهما في كونهما مكيتان.

ردّ الأقوال الأخرى في معنى الشاهد

حاول البعض صرف ظهورها عن الامام علي عليه السلام وذلك بالتصرف في ارجاع الضمائر ونحوه أو القول ان المراد منه جبرائيل يتلو القرآن على النبي صلى الله عليه وآله، لكن كلها مردودة وخصوصا على ما ورد في بعض القرآت عند أهل البيت عليهم السلام من ان الآية «**وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ**» فوصف الامامة والرحمة للشاهد لا لكتاب موسى إلا أنهم بدلوا موضعها عند جمع القرآن.

وجود قيد «**مِنْهُ**» للشاهد تدفع الاحتمالات التي ادعوها في المقصود من الشاهد، حيث لا معنى ان يرجع الضمير إلى غير الرسول، وان المراد من «**يَتْلُوهُ**» التلو التابع لا التلاوة.

تحليل قيد «منه» وعلاقته بالإمام علي عليه السلام

ان المراد من حرف الجر في قوله تعالى«بينة من ربه» هي النشوية لا البيانية أي انها ناشئة من الله وآتية من جانبه.

لفظة «**مِنْهُ**» الواردة في «**شَاهِدٌ مِنْهُ**» هل المراد منها الاتصال النسبي أم امر آخر؟ والاول بعيد وذلك لان القرآن لا يعتد بخصوص ظاهرة الولاء النسبي فقط في نسبة الاشخاص كما في قوله تعالى«انه ليس من أهلك» مع انه ابنه، بل يعتبر ان من خرج

عن الطريق الصحيح فهو خارج عن اتصاله بالنبي وهنا اطلاق «**مِنْهُ**» على الامام علي عليه السلام من جهة نسبة الروح والولاء والايمان وكونه منه لها دخالة في شهادة الشاهد، ويؤكده ما ورد عن الامام من رؤيته لنور النبوة، وقوله صلى الله عليه وآله: «**انت أخي، فالاخوة ليست نسبية والشقيق يعني الاشتقاق من أصل واحد فمرتبتهما الغيبية تؤول إلى أصل واحد، وقريب منه ما ورد كنا نورا واحدا، ومثله قوله تعالى «وأنفسنا وأنفسكم.»**

ثماني نقاط أساسية

اما النقاط التي يمكن استفادتها من هذه الطائفة:

١. ثبوت مقام الطهارة والعصمة لمن عنده علم الكتاب حيث ان الشهادة لايمكن أن تقبل في هذه المواطن التي هي اللبنة الاولى للشريعة إلا لمن اتصف بذلك، وإن سر وحقيقة العصمة يعود للعلم، ولم يدع احد من الاولين والآخرين ان لديه علم الكتاب إلا هؤلاء الاطهار واستعدادهم للجواب على كل تساؤل، ومن دلائل العصمة اجوبتهم وكلماتهم التي صحت نسبتها إليهم فإنها تظل منارا هاديا ومشعلا مضيئا إلى أبد الدهر ودالا على امامتهم وعصمتهم ومعاجزهم العلمية.

٢. أن الائمة عليهم السلام لديهم العلم اللدني المحيط بكل الاشياء وهو ليس غير علم الاسماء الجامع، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في الطائفة الاولى.

٣. ان من يكون لديه العلم اللدني يكون مؤهلا للهداية التكوينية الايصالية وهي الحد لماهية الامامة كما ذكرنا في الطائفة الاولى.

٤. بما أن لديهم هذا العلم الحضوري فلديهم القدرة وهذا يعني ان لديهم الولاية التكوينية والقدرة التكوينية على من سواهم حتى الملائكة، وهذا العلم يكسب مثل هذه القدرة الغريبة كما رأينا في آصف بن برخيا إذ ان اتيانه بعرش بلقيس بهذه السرعة ليس إلا بسبب ما حصل عليه من علم من الكتاب فكيف بمن عنده علم الكتاب، وقد حرر في محله ان القدرة فرع العلم.

٥. لقد أشرنا إلى ان الكتاب هو الكتاب المبين وهو كتاب التكوين وهو الحاوي لكل شيء ومن وصل إلى هذا العلم يدل على علو منزلته ومقامه وعلى حسب ما أوتي نستطيع معرفة رقيه الروحي، ومن المسلم به في علوم المعارف الالهية أن فضيلة الانسان بمقدار ما أوتي من ربه.

٦. ان مقتضى النقاط السابقة هو امامتهم لمن دونهم وان هذه الامامة هداية تكوينية وانها باقية على مر الزمان، إذ تنزل العلوم والكمالات من المراتب العليا على النفوس المستعدة لها، وقد مرّ عليك اطلاق الكلمة على بعض الانبياء، كما انه قد عرفت الفرق بين الكلمة والكتاب التكوينيين، فعلم الكتاب حاو لجميع الكلمات، وإياك أن تحمل هذه الاستعمالات القرآنية على المجاز والتفنن اللفظي، فإنه كتاب حقائق موزونة ألفاظه واستعمالاته ومعانيه ولطائفه وحقائقه من لدن حكيم عليم.

٧. ان القرآن معجزة خالدة باقية على حقانية الرسول وهكذا الامام الذي هو شاهد حي على مر الدهور على صدق الرسول، حيث ان شهادة من عنده علم الكتاب لكل افراد الانسانية كما ان القرآن لجميع الانسانية فكذلك الشاهد الآخر يكون شاهدا ابديا على صدق الرسالة وصدق الكتاب من الحق سبحانه وهو القرآن الناطق.

وهذا المفاد عين مفاد حديث الثقلين، وقد اشارت روايات أهل البيت عليهم السلام إلى العديد من الآيات التي يتطابق مفادها مع حديث الثقلين، وبالتالي فإن هذا الحديث وإن كان متواترا بين الفريقين إلا انه يزداد رصيد اعتباره مفادا وسندا.- وسوف يأتي مزيد بيان في فقه الروايات - والمحصل: ان وجود الائمة عليهم السلام وتصديقهم بنبوة النبي صلى الله عليه وآله شهادة و معجزة على نبوته صلى الله عليه وآله على حذو شهادة ومعجزة القرآن الكريم على نبوته، وهذا مفاد يدق معناه ويلطف في معنى معية الثقلين، فوجود الائمة عليهم السلام وعلومهم وسيرتهم وطهارتهم وكمالاتهم المختلفة في الجوانب العديدة التي بهرت العقول دليل صدق على النبوة، ومن ثم ورد عنهم عليهم السلام أن آية «... **كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا**...»[2] مورد نزولها في أمير المؤمنين عليه السلام وهي جارية في الأئمة عليهم السلام، ولقد كان تحدي السلطات القائمة دولة بني امية و بني العباس لهم مستمرة على كافة الاصعدة في العلوم المختلفة والرياضات النفسانية والقدرات الكمالية، وكانوا يستعينون برواد العلوم والفنون والرياضات من الاقطار المختلفة في العالم ومن الممالك المختلفة بل كانوا يستعينون بالسباع فيروضها تخبت لهم خاضعة.

٨. يثبت من خلال الآية ان ولايتهم وامامتهم امر اعتقادي وليس من الفرعيات وذلك باعتبار ان المعجزة يجب الايمان بها كالقرآن وهذه الشهادة أمر اعتقادي وهي دليل النبوة، مما يدلل على أن النبوة والامامة توأمان وقرينان لا ينفك احدهما عن الآخر.

يتبع...

الهوامش:

١. سورة هود، الآية ١٧.

٢. سورة الرعد، الآية ٤٣.

المصدر: الشيخ محمّد السند، «الإمامة الإلهية».